

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بدسوق

بنـــاء الشخصيـــة السويـــة

فـــي ضـــوء الثقافـــة الإسلاميـــة

إعداد الدكتور

عبد المعبود إسماعيل إبراهيم إسماعيل

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة - كلية التربية

جامعة جازان

المقدمة

الحمد لله ؛ الذي خلق فسوي والذي قدر فهدى . سبحانه أرسل الله أنبياءه ورسله . عليهم الصلاة

السلام . وأنزل معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط؛ وليعيشوا رحاب نور الله . سبحانه . ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ؛ خير من عاش بالإسلام وللإسلام وخير قدوة للأنام ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن موضوع بناء شخصية المسلم السوية المستقيمة على منهاج الله وسنة رسوله ﷺ محور عمل الدعاة إلى الله . تعالى . الأمر الذي يجب أن توجه إليه جهود العاملين المخلصين في كل مجال من مجالات الثقافة الإسلامية ؛ ولذا فهذا الموضوع من الأهمية بمكان ؛ لأنه متعلق بمن يُناط بهم حمل رسالة الإسلام مبشرين بها ومنذرين منها وداعين إليها في العالمين ؛ خاصة وأن الإسلام يواجه تحديات كبيرة في مجالات شتى في عصرنا الحاضر وواقعنا المعاصر ؛ لذا فهو يحتاج إلى رجال من نوع خاص قد تربوا على مائدة الإسلام وصهروا في بوتقته وتم إعدادهم وبناؤهم من خلال منهج شامل متكامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وحينئذ يصدق عليهم ويتحقق فيهم صفات أبناء الإسلام العاملين لخدمة هذا الدين والذائدين عن حياضه ؛ الذين ورد في شأنهم حديث رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «

يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»([1]).

ومن هنا فقد برزت أهمية هذا الموضوع ليكون موضوع البحث ؛ لأمور منها :

١ . إعداد الشخصية السوية كان محل اهتمام سيدنا رسول الله ﷺ ولا غرو أن كان العهد المكي كله منصباً على إعداد وتكوين هذه الشخصية ؛ من أمثال : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والجيل الراشد . رضوان الله عليهم أجمعين . الذين فتحوا العالم ومكن الله لهم في الأرض في نصف قرن ما لم تتمكن منه القوى العظمى آنذاك في خمسمائة عام.

٢ . تكوين الشخصية السوية فريضة شرعية ؛ ورد ذكرها في آيات القرآن الكريم وأشارت إليها أحاديث السنة النبوية.

٣ . إيجاد وتكوين الشخصية السوية هدف عظيم من أهداف دراسة الثقافة الإسلامية ، ولابد إذن والحالة هذه من تكاتف الجهود التي تعكف على هذه الشخصية حتى يصبح صاحبها عضواً إيجابياً فاعلاً في المجتمع يعمل على رقي وتقدم مجتمعه ووطنه وأمته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

---

١ ـ أخرجه الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ باب : " بيان مشكل ما رُوي عن رسول الله ﷺ" ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م ـ ١٠ / ١٧ ـ حديث رقم ٣٨٨٤ ـ الطبعة : الأولى ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ، والإمام الطبراني في مسند الشاميين ـ ١/ ٣٤٤ـ حديث رقم : ٥٩٩ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ، و الإمام العكبري في الإبانة الكبرى ـ من حديث : إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري ـ الإبانة الكبرى ـ تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل ـ ١ / ١٩٨ ـ حديث رقم : ٣٣ ـ دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، والإمام الرازي في الفوائد ـ من حديث عبد الله بن عمر ـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ ١/ ٣٥٠ ـ حديث رقم : ٨٩٩ ـ الطبعة الأولى : ١٤١٢هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٤ . تكوين الشخصية السوية ضرورة عصرية يفرضها ويحتمها الواقع المعاش في ظل التحديات المعاصرة ؛ كالغزو الفكري ، وتيارات التغريب والعلمانية والماسونية وغيرها .

٥ . كما أن تكوينها أمر يثمر شخصاً سوياً ؛عدلاً وسطياً ؛ بعيداً عن الغلو والتفريط ؛ يعرض نفسه دائماً على المصدرين المعصومين ؛ القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة ويردها إلى الجادة والصواب وفق ما هو مقرر في المنهج الإسلامي الصحيح ؛ الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ ودعا إليه الناس أجمعين.

٦ . انطلاقاً من قاعدة : " ما لا يتم الواجب إلا به ؛ فهو واجب " لأن هذا الأمر لا ينصلح آخره إلا بما صلح به أوله ؛ وأوله من وجهة نظر الباحث : إعداد النشء المسلم ؛ ثم الشخصية السوية من خلال منهاج القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة ؛ ثم سيرة السلف الصالح . رضوان الله عليهم أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا ؛ وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الاستردادي أولاً ، ثم أتبعته بالمنهج الوصفي والتحليلي ؛ الذي يقوم على جمع النصوص ووصفها وتحليلها تحليلاً منطقياً يتماشى المنهج العلمي.

. الهدف من الدراسة : يهدف البحث والدراسة إلى تكوين شخصية مسلمة سوية تتوافر فيها أخلاق وصفات ؛ منها : الفهم الصحيح للإسلام ، والإخلاص لله . تعالى . بغية الوصول للحق والتجرد من الهوى ، والاستقامة على أمر الله . سبحانه . والتوازن بين حاجات الروح ومتطلبات الجسد ، تحصين الشخصية السوية بالثقافة الإسلامية، والثبات أمام المغريات ، والقوة والأمانة ، والعفة والنزاهة ، والانضباط والالتزام بالشرع ، والإيجابية وحب الوطن.

. **خطة البحث** : قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

١. **المقدمة** : وتشتمل على : أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتبع في البحث وبيان الهدف من الدراسة.

٢. **التمهيد** : ويشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث .

٣ . المبحث الأول : الرعاية الصحية والبدنية للشخصية السوية .

أولا : العناية بالطفل قبل ميلاده.

ثانيا : العناية بالطفل بعد ميلاده.

٤ . المبحث الثاني : البناء الروحي للشخصية السوية .

أولا : بناء الشخصية السوية عقائدياً.

ثانيا: بناء الشخصية السوية عبادياً.

ثالثاً : بناء الشخصية السوية أخلاقياً.

رابعاً : بناء الشخصية السوية ثقافياً.

٥ . المبحث الثالث : من صفات صاحب الشخصية السوية.

أولاً : الفهم الصحيح للإسلام.

ثانياً : الاستقامة والثبات.

ثالثاً : الجدية والانضباط.

رابعاً : الإيجابية وحب الوطن.

خامساً : الحفظ والعلم.

٦ . المبحث الرابع : شواهد مجملة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولاً : صور ونماذج من القرآن الكريم.

ثانياً : صور ونماذج من السنة النبوية العطرة.

٧ . المبحث الخامس : ضروريات الشخصية السوية محور مقاصد الشريعة.

أولاً . المحافظة على دين الشخصية السوية.

ثانياً . المحافظة على حياة الشخصية السوية.

ثالثاً . المحافظة على عقل الشخصية السوية.

رابعاً : المحافظة على عرض الشخصية السوية.

خامساً : المحافظة على مال الشخصية السوية.

المبحث السادس : تحقيق الأمن من آثار المحافظة على ضروريات الشخصية السوية.

الخاتمة : وبها أهم النتائج والتوصيات التي خلصت إليها الدراسة والبحث.

كان هذا مجمل لما اشتمل عليه البحث ، وفيما يأتي تفصيل ذلك . بإذن الله تعالى ..

تمهيد

ضوء على مفردات العنوان

أولاً : المقصود بالبناء : تدور مادة بنى أو بنو أو بني في كتب اللغة : حول عدة معان ؛ منها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي ؛ فتستعمل مجازاً في الأمور المعنوية ؛ فالإنسان بنيان الله والابن بنيان أبيه " والبنيان ما بني وهو ضد الهدم وبنَى ، يبنِي ، بناءً وبُنيانًا وبنايةً، فهو بانٍ، والمفعول مَبْنِيّ، والجمع : أبنية وجمع الجمع : أبنيات.

وبنَى المنزلَ: أقام جدارَه ونحوَه، ويستعمل مجازًا في معانٍ تدور حول التأسيس والتنمية.

يُقال : بنى مجدَه، وبنى الرِّجالَ.

وفي المثل : "يبني قصرًا ويهدم مصرًا" مثل يضرب : في مَنْ يقدّم خيرًا قليلاً ويؤذي كثيرًا.

وقال الشاعر :

يبني الرِّجالَ وغيره يبني القرى ... شتان بين قرى وبين رجالِ .

وبنى أمره على كذا : عزم، صمّم عليه وقرّر.

وبنى نظريّة ؛ أي : أوجدها وصاغها، وأقام الدليل عليها.

وبنَى الطَّعامُ فلانًا ؛ أي : بنَى الطَّعامُ جسمَ فلانٍ: غذّاه وسمَّنه وبَنَى الطعامُ لَحْمَه يَبْنِيه بِنَاءً: أَنْبَتَه وعَظُمَ مِنَ الأَكل"[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن البناء يكون حسياً ويكون معنوياً وكلا المعنيين مقصود ومراد معنا في بحثنا هذا.

---

١ - معجم مقاييس اللغة المعاصرة - أ. د / أحمد مختار عمر وآخرون ١ / ٢٥٠ - (مادة : بنو - بني - تحت رقم : ٧٨٩) ، والمعجم الوسيط ١/ ٧٢ ، و لسان العرب ؛ للعلامة ابن منظور - ١٤/ ٩٣ - ٩٥.

ثانياً : مفهوم الشخصية السوية :" الشَّخْص: . مشتق من شخص وهو. : كل جسم لَهُ ارْتِفَاع وَظُهُور وَغلب استعماله فِي الْإِنْسَان ، والشَّخْص الأخلاقي هو: من توافرت فِيهِ صِفَات تؤهله للمشاركة الْعَقْلِيَّة والأخلاقية فِي مُجْتَمع إنساني.

والشخصية : صِفَات تميز الشَّخْص من غَيره وَيُقَال فلَان ذُو شخصية قَوِيَّة ذُو صِفَات متميزة وَإِرَادَة وكيان مُسْتَقل"([1]).

وفي الاصطلاح : لقد عرفت الشخصية بتعريفات كثيرة ومنها :

١. الشخصية هي : " المجموع الإجمالي لكل الأمزجة والدوافع والميول والشهوات والغرائز الفطرية والبيولوجية وكذلك الميول والاتجاهات المكتسبة عن طريق التجربة"([2]).

٢. الشخصية هي: "السمات الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية"([3]) فالشخصية تشمل جميع الصفات . المذكورة آنفاً . في حالة تفاعلها مع بعضها، ومع البيئة، ومع المواقف المختلفة منذ الولادة وحتى الممات([4]).

٣. الشخصية عبارة عن " سلوك متأصل في نفس الفرد مستمد من موروثه الجيني والتربوي يتميز به كل فرد عمن سواه ؛ مع تأثره بأفكار المجتمع المحيط به"([5]).

٤. الشخصية هي : " التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الإنسان ، وتعبر عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء عن هذا التكامل"([6]).

---

١ ـ المعجم الوسيط ١/ ٤٧٥.
٢ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ١٠٢ ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨١م.
٣ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ١٠٠.
٤ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ١٠٢.
٥ ـ أكاديمية علم النفس (علم نفس الشخصية) بحث بموقع الأكاديمية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت www.cofps.com)
٦ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ١٠٣.

وتنقسم الشخصية إلى قسمين هما : الشخصية السوية ، وغير السوية ، ودراسة الشخصية السوية كانت غالباً محل عناية واهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ، ودراسة الشخصية غير السوية كانت في مجملها محل عناية واهتمام علماء التحليل النفسي والأطباء النفسيين ([١]).ويُقصد بالشخصية السوية : " الشخصية المرضي عنها مجتمعياً ؛ سلوكاً ، وفكراً ، ومشاعراً "([٢]).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك تلازماً بين الثقافة والشخصية ؛ فعلم الانثروبولوجيا النفسية يتناول العلاقة بين الثقافة والشخصية ، أي : أثر كل منهما في الأخرى([٣]).

من خلال ما سبق يمكن القول : بأن الشخصية السوية بوجه عام هي : الشخصية التي تتمتع بقيم وأخلاقيات وصفات إيجابية معينة ينتج عنها سلوكيات وأفعال وتصرفات تلقى قبولاً لدى المجتمع غالبا.

أما الشخصية السوية الإسلامية محل البحث والدراسة ؛ فهي : " الشخصية التي تقوم على عقيدة التوحيد وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية والأخلاق الإيمانية المستقاة من مصادر الإسلام"([٤]) سواء أكانت أصلية أم فرعية ؛ مادياً ومعنوياً.

والثقافة من لوازمها عند العرب ـ أيضاً ـ لأنها : " وصف إيجابي يطلقونه على الشخصية السوية المثالية التي أعجبوا بسماتها وأدائها "([٥]) أوهي : الشخصية المثقفة هي التي يتمتع صاحبها بصفات منها : الفطنة ، الذكاء ،

---

١ ـ يُراجع : الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ١٠٤.
٢ ـ أكاديمية علم النفس (علم نفس الشخصية) بحث بموقع الأكاديمية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت www.cofps.com)
٣ ـ يُراجع :الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ص ٤٧.
٤ ـ أضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. نادية العمري ص ١٧ .
٥ ـ الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة ـ د. محمد عبد الله حياني ـ ص ٣٥ ـ

الحاذق ، الرزانة ، علو الهمة ودوام التطلع إلى معالي الأمور وعظائمها ؛ القائم بتأديب نفسه وتهذيب وتعليم غيره من الناس ، وكذا تقويم وتسوية المعوج من الأشياء ؛ كما أنه محب للقراءة ؛ كثير المعرفة و الاطلاع على علوم شتى ، الخبير الماهر الذي لديه ملكة حسن الفهم مع حسن العرض لما يقرأ ويطالع من مسائل و قضايا ؛ ولذا يُهرعُ إليه كثير من الناس في حل المعضلات وينصتون إليه إذا ما تكلم ، وينزلون على حكمه برضى وتسليم(١).

كما أن صاحب الشخصية السوية دائماً وأبداً ما يتزود بأنواع العلوم والفنون والمعارف المتصلة بالدين الإسلامي ، ومختلف علوم عصره ومعارفه ؛ بحيث تساعده على ترسيخ وتعميق أمور هذا الدين كأمور العقيدة والشريعة والأخلاق الإسلامية ؛ كما تكسبه الفهم والفطنة والذكاء في الحكم على الأمور والإصابة فيها ، والظفر بالخصوم والانتصار عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالحجة والإقناع بالتي هي أحسن(٢).

ثالثاً : المقصود بالضوء: الضوء في اللغة هو : ما يضيء الأشياء ؛ جاء في اللسان : " الضَّوْءُ والضِّياءُ: مَا أَضاءَ لَكَ "(٣)"والضياء أعلى مرتبة من النور، إذ كل ضياء نور، وليس كل نور ضياء"(٤).

---

١ ـ يُراجع : الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة ـ ص ٣٥ : ٣٧ .

٢ ـ يُراجع : أضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد فؤاد محمود ـ ص ١٤ ـ ط ١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ إشبيليا للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ، والثقافة الإسلامية وتحديات العصر ـ د. شوكت محمد عليان ـ ص ١٢ ، ٢٩ـ الطبعة: الثانية ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ـ دار الشواف ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٣ ـ لسان العرب ١/ ١١٢، ويُراجع : الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٨ / ٣٠٩.

٤ ـ المفردات في غريب القرآن ـ للراغب الأصفهاني ـ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ـ ص : ١٦٧ ـ الطبعة: الأولى ـ ١٤١٢ هـ ـ الدار الشامية – بيروت ـ لبنان.

رابعاً : بيان مفهوم الثقافة الإسلامية :

أ ـ تعريف الثقافة لغة : باستقراء كتب اللغة والمعاجم وُجد أن مادة كلمة " ثقافة " تدور حول عدة معانٍ ؛ منها : ما هو حسي ومنها : ما هو معنوي ؛ وهي بهذا يتسع مفهومها ودائرة استعمالاتها لتشمل الجانبين المعرفي والسلوكي معاً. ومن معانيها : الحذق والفطنة والذكاء ، وسرعة التعلم والضبط ، والظفر بالشيء والتغلب عليه ، والأخذ في قوة ، والمصادفة والإدراك ، والعلوم والمعارف والفنون ، والتأديب والتقويم والتهذيب وتسوية الشيء المعوج كالرماح والسيوف ، والإصلاح والوجود([1]).

وفعل الثقافة إن كان لازماً ؛ يكون معناه : الحذق والفطنة والذكاء ، وإن كان متعدياً ؛ يكون معناه : التهذيب والتأديب والتعليم والتسوية والتقويم ؛ نقول : ثقف النبي أمته والأستاذ تلاميذه والأب أبناءه([2]).

" ومن معانيها المجازية والمولدة حديثاً : مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح الرابطة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في مجتمعه "([3]).

---

١ ـ يُراجع : تاج العروس ؛ للعلامة الزَّبيدي ٢٣ /٦٠ : ٦٢ـ ، ولسان العرب ؛ للعلامة : ابن منظور ٩ / ٩ ـ (مادة : ثقف) ، والثقافة الإسلامية وتحديات العصر ـ د. شوكت محمد عليان ـ ص ١١ ، وأضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. نادية شريف العمري ـ ص ١٣ ، وأضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد فؤاد محمود ـ ص ١١ ، والوافي في الثقافة الإسلامية ـ د. مصلح عبد الحي النجار ـ ص ١٥.

٢ ـ يُراجع : الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد فؤاد محمود ـ ص ١٢ ـ ط ١ ، و محاضرات في الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد محمد جمال ص ١٣ ـ الطبعة : السابعة ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ـ مكتبة الثقافة ـ مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، والثقافة الإسلامية ـ د. يوسف بن علي الطريف ورفيقه ـ ص ١٣ ، وأضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. نادية العمري ـ ص ١٤ ، والثقافة الإسلامية ـ د. يوسف بن على الطريف ورفيقه ـ ص ١٤، والمدخل إلى الثقافة الإسلامية د. خالد القاسم ورفاقه ـ ص ٣.

٣ ـ محاضرات في الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد محمد جمال ـ ص ١٣ ، ١٤.

ومن ثم فيمكن القول : بأن المثقف المسلم هو : من تزود بأنواع العلوم والفنون والمعارف المتصلة بالدين الإسلامي([1])التي ذكرتها . آنفاً . عند تعريف الشخصية السوية ، وعليه فالمثقف هو الشخص السوي فكرياً.

ب : **تعريف الثقافة في الاصطلاح** : عُرفت الثقافة بتعريفات عدة ([2]) منها :

. الثقافة هي : " جملة الْعُلُوم والمعارف والفنون الَّتِي يطْلب الحذق فِيهَا"([3]).

. الثقافة هي : " معرفة عملية مكتسبة ؛ تنطوي على جانب معياري ، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود ؛ على نحو مجمل يشمل المنطلقات
والأسس والمبادئ العامة والقواعد الكلية"([4]).

. الثقافة هي : " ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع من المجتمعات"([5]).

. الثقافة هي : " أسلوب الحياة الذي يميز مجتمعاً ما عن غيره من المجتمعات.

---

١ ـ يُراجع : أضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد فؤاد محمود ص ١٤ ، والثقافة الإسلامية وتحديات العصر ـ د. شوكت محمد عليان ـ ص ١٢ ، ٢٩ـ الطبعة: الثانية ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ـ دار الشواف ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ يُراجع : الإسلام وثقافة الإنسان ـ سميح عاطف الزين ـ ص ٢٨٢ ، و نظرات في الثقافة الإسلامية ـ د. عز الدين التميمي وآخرون ـ ص ١٠ ـ الطبعة الخامسة ـ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان الأردن .

٣ ـ المعجم الوسيط ١/ ٩٨.

٤ ـ الثقافة الإسلامية ـ د. عزمي طه سيد ورفاقه ـ ص ١٦.

٥ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ٨٠ ، عن الثقافة البدائية لتايلور ـ ص ٣ ـ لندن ـ ١٩١٣م.

وأهم مميزات هذا المفهوم النظرة الكلية الشاملة ؛ فالثقافة تشمل جميع أنماط السلوك المكتسبة ، سواء أكانت علاقة الإنسان بالمادة أو بغيره من البشر أو علاقته بالأفكار والرموز"([1]).

ج . بيان مفهوم الثقافة الإسلامية :

لقد عرفت الثقافة الإسلامية بتعريفات كثيرة ؛ واعتبارات عدة ؛ فقد عرفت على أنها علم قائم بذاته ؛ كما عرفت على أنها مرادفة للإسلام والعلوم والدراسات الإسلامية ، وأكتفي بذكر بعض التعريفات على النحو التالي فيما يأتي :

١ . تعريفها باعتبارها مرادفة للإسلام : الثقافة الإسلامية هي : " معرفة عملية مكتسبة تنطوي على جانب معياري مستمد من شريعة الإسلام ومؤسس على عقيدته ؛ وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود ؛ أي: مع الخالق والمخلوقات "([2]).

٢ . تعريفها على أنها علم مستقل قائم بذاته : عرفت الثقافة بهذا الاعتبار بتعريفات عدة منها :

. عرفها مجموعة من العلماء بأنها : " العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم والنظم والفكر ونقد التراث الإنساني فيها "([3]).

. وعرفها الأستاذ: محمد راغب الطباخ بأنها " العلوم والمعارف التي تحلت بها الأمة الإسلامية ؛ بسبب بعثة النبي محمد ﷺ فغير بها ﷺ وأصحابه من بعده ومن تبعهم بإحسان وجه الحياة بعد أن كانوا في جاهلية وفي ضلال مبين "([4]).

---

١ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص ٤٧.
٢ ـ الثقافة الإسلامية ـ د. عزمي طه سيد ورفاقه ـ ص ٢٧.
٣ ـ الثقافة الإسلامية ؛ تخصصاً ، ومادة ، وقسماً علمياً ـ د. عبد الله الطريقي ورفاقه ـ ص ١٢ ، ١٣ ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .
٤ ـ راجع :الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة ـ د. محمد حياني ـ ص ٤٠.

وصدق الله حيث يقول واصفاً حال الأمة التيس بعث فيهم النبي ﷺ : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "([١]).

. وعرفها د. عبد الرحمن الزنيدي بأنها:" علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها بترابطها"([٢]).

ويفهم من هذا التعريف أن الثقافة الإسلامية هي : الفهم الشامل ، التام ، الكامل ، لنظم الإسلام في العقيدة والشريعة والأخلاق ؛ بما يحقق السعادة للفرد والمجتمع. ([٣])

٣ . تعريفها على أنها مرادفة للعلوم والدراسات الإسلامية : عرفت الثقافة الإسلامية بتعريفات كثيرة ؛ منها :

. عرفها الدكتور: أحمد محمد جمال بأنها : " المفاهيم الصحيحة عن الله ، والكون ، والإنسان ، والحياة "([٤]).

. وعرفت بأنها : " مجموعة القيم الاجتماعية ، والصفات الخلقية المكتسبة والمستمدة من التعاليم الإسلامية ؛ بقصد إسعاد الفرد والمجتمع ، وتقديم الحلول السليمة لكل مشكلاتها والوفاء لكل ما يجد في حياتها من حاجات "([٥]).

. وعرفت بأنها : " معرفة مقومات الدين الإسلامي ؛ بتفاعلاتها في الماضي و الحاضر؛ والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات "([٦]).

---

١ ـ سورة الجمعة الآية : ٢.

٢ ـ الوافي في الثقافة الإسلامية ـ د.مصلح النجار ص ٢٠ ، والثقافة الإسلامية ـ د. يوسف بن علي الطريف ورفيقه ص ١٩ .

٣ ـ يراجع : الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة ـ د. محمد عبد الله حياني ص ٤١.

٤ ـ محاضرات في الثقافة الإسلامية ـ ص ١٥.

٥ ـ أضواء على الثقافة الإسلامية ـ د. أحمد فؤاد ص ١٣ .

٦ ـ دراسات في الثقافة الإسلامية ، د .رجب سعيد شهوان وآخرون ـ ص ١١، ١٢.

وعليه فالمقصود بالثقافة الإسلامية هنا :غرس المفاهيم الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة ، وكذا القيم والعادات والصفات في نفس الشخصية السوية ؛ حتى تكون على علم بمقومات الدين الإسلامي ومصادره ؛ بهدف تحقيق السعادة للفرد والمجتمع " فالثقافة الإسلامية تعبر في مضمونها العريق عن العقيدة والعبادات والمبادئ والقيم الإسلامية التي انحدرت إلينا من السلف الصالح نقلاً عن رسول الله ﷺ وكذا كل سلوك عملي قائم على المعرفة التي تعتبر سبب السعادة في الدنيا والآخرة بالنسبة لمن التزم بها "([1]).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الثقافة هي المسئولة عن الشكل الرئيسي للشخصية في أي مجتمع من المجتمعات ، وباختلاف الثقافات تختلف أشكال الشخصية ، ويُقصد بشكل الشخصية مجموعة السمات الأكثر تكراراً بين أبناء المجتمع الواحد([2]).

من خلال ما سبق يمكن القول بأن : المقصود ببناء الشخصية السوية في ضوء الثقافة الإسلامية يعني : التعهد بالتنمية والرعاية الصحية والبدنية والروحية للشخصية الإسلامية ذات الصفات الإيجابية التي تقوم على العقيدة والشريعة والأخلاق.

---

١ ـ الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ـ د. شوكت عليان ص ٢٩.
٢ ـ الثقافة والشخصية ـ د. عاطف وصفي ـ ص٥٤.

المبحث الأول : الرعاية الصحية والبدنية للشخصية السوية :

تمهيد

إن الثقافة الإسلامية عند بناء الشخصية المسلمة السوية تُعنى بالجانبين النظري والتطبيقي معاً " فليست مجرد معارف نظرية فقط ؛ بل عملية أيضاً ، متصلة بحياة الإنسان اتصالاً وثيقاً ؛ لذلك هناك علاقة قوية في الثقافة الإسلامية بين العلم والعمل ، أو بين النظرية والتطبيق ، فالعلم مبدأ للعمل ، والعمل تمام العلم ، ولا يرغب المسلم في المعارف الفاضلة إلا من أجل الأعمال الصالحة " ([1]).

ولقد تحدثت آيات القرآن الكريم كثيراً عن التلازم والترابط بين الإيمان والعمل الصالح معاً ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾([2]) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾([3]) وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾([4]).

هذا ؛ وتجدر الإشارة هنا : إلى أن الإسلام اهتم بإعداد الشخصية المسلمة السوية منذ وقت مبكر ؛ بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه اهتم بالإنسان قبل وجوده؛ فحث الزوجين على اختيار كل منهما الآخر على أساس الخلق والدين ؛ لأن الدين عاصم لكل منهما من الانحراف ؛ وبهذا تتوافر البيئة الطيبة التي ينمو فيها الإنسان في مراحل حياته المختلفة ؛ قال تعالى :

١ ـ الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها ـ د. إبراهيم النجار ورفاقه ص ٢٢ .
٢ ـ سورة مريم الآية : ٩٦.
٣ ـ سورة يونس الآية : ٩.
٤ ـ سورة العصر الآيات من ١ : ٣ .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾([١]).

ومروراً بمرحلة الحمل . كون الطفل ما زال جنيناً في بطن أمه . ثم مروراً بفترة الرضاع ، وكذا مروراً بمرحلة الطفولة ، وكذلك مروراً بمرحلة الشباب والفتوة ، ثم مروراً بمرحلة الشيخوخة ووصولاً إلى المحطة الأخيرة في هذه الحياة الدنيا وهي الموت والانتقال إلى الدار الآخرة وأولى منازلها ؛ القبر وبه تبدأ حياة البرزخ.

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام في كل هذه المراحل . سالفة الذكر . لم يترك الإنسان بتشريعاته وتوجيهاته في يقظته ونومه ، وفي خلوته وجلوته ؛على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع ، وكذا ما يتعلق من أمور بالشئون الداخلية والسياسة الخارجية للدولة الإسلامية ، وهذا يشمل كل من يعيش في ظل دولة الإسلام سواء أكان مسلماً أم غير مسلم ؛ ولا غرو فالإسلام دين شامل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ ؛ وقد أشار الله . تعالى . إلى كل ذلك في مواضع كثيرة من كتابه الكريم ؛ ومنها : قوله . سبحانه . : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾([٢]) فالإنسان مكرم ومصان في كل مراحل حياته.

أولاً : العناية بالطفل قبل ميلاده :

لقد حرص الإسلام علي توفير البيئة الصالحة التي يوجد فيها الطفل ؛ فأحاطه بسياج من الحماية والعناية في جميع مراحل حياته ؛ وفيما يأتي ذكر طرف منها؛ علي النحو التالي :

---

١ ـ سورة الأعراف ؛ الآية : ٥٨.

٢ ـ سورة عبس الآيات من : ١٧: ٢٢.

١ . **توفير البيئة الصالحة له** : لقد حرص الإسلام علي مجيء الطفل من طريق شرعي ؛ فوفر للطفل البيئة الصالحة التي يوجد فيها؛ فحث علي النكاح ورغب فيه وحرم الزنا والسفاح وسد الطرق المؤدية إليه ، ففي شأن الترغيب في الزواج والحث عليه بين سبحانه لعباده أن أصل الناس جميعاً آدم وحواء . عليهما السلام . ومنهما بدأت البشرية في رحلتها الطويلة نسبياً في عمارة الأرض ؛ قال الله . تعالي . : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾([1]).

كما جعل الله تعالى الزوجية سنة كونية في خلق الله . تعالي . فقال : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾([2]).

وجعل أيضاً الزواج بين الذكر والأنثى آية دالةً على قدرته سبحانه معدودة مع الآيات الكونية الأخرى ؛ كخلق الناس من تراب ، وخلق السماوات والأرض ، واختلاف الألوان واللغات ، ونعمة النوم بالليل والتماس الناس لأرزاقهم من خبايا الأرض بالنهار ، والبرق والرعد وإنزال الماء من السماء ؛ لتُخرج الأرض ما في باطنها من زروع وثمار وجنات ذات بهجة تسر الناظرين بفضل الله . تعالى . ورحمته ، وإمساك السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه سبحانه ؛ في ثنايا هذه آيات الله الكونية ذكر الله آيات الزواج ؛ فقال تعالي : ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾([3]).

كما جعل الله . سبحانه . الزواج سنة صفوته من خلقه وهم الأنبياء والمرسلون . عليهم الصلاة والسلام . قال تعالي : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ

---

١ ـ سورة النساء الآية : ١.
٢ ـ سورة الذاريات الآية : ٤٩.
٣ ـ سورة الروم الآية : ٢١.

قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآَيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾(١).وفي الحديث : عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

كما جعله الله دليلاً من دلائل قدرته سبحانه على بعث ونشور من في القبور في يوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ؛ ولذا ذكر الإنسان ببعض مراحل خلقه ؛ فقال تعالي : ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ٠ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ٠ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ٠ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾(٣).

كما حث الله . تعالى . الأولياء وندبهم إلى تزويج من لا زوجة له من الرجال ، وكذا من لا زوج لها من النساء ؛ فقال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾(٤).

---

١ ـ سورة الرعد الآية : ٣٨.

٢ ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب : النكاح ـ باب : " الترغيب في النكاح ؛ لقوله تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ (النساء : ٣) ـ حديث رقم : ٥٠٦٣ ، والإمام مسلم ـ كتاب : النكاح ـ باب : " استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه ، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم " ـ حديث رقم : ١٤٠١.

٣ ـ سورة القيامة الآيات : ٣٧ : ٤٠.

٤ ـ سورة النور ؛ الآيتان : ٣٢ : ٣٣.

كما بين لنا سيدنا رسول الله ﷺ أن من فوائد النكاح التحلي بخلق وفضيلة غض البصر للرجال والنساء على السواء ؛ فعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء»([1]).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾([2])ففي الآية الكريمة دعوة للمؤمنين والمؤمنات من قبل الشارع سبحانه إلى العفة عن المحارم ؛ بأن يغضوا أبصارهم ويمتنعوا عن النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه([3]).

ويُلاحظ هنا :

أ . أن الإسلام دين شامل لشتى جوانب الحياة ؛ فلقد اهتم بالجسد كما اهتم بالروح ، ووازن بين حاجات كل منهما ؛ وتعامل بواقعية مع الإنسان ومن ذلك تشريعه الزواج .

ب . أن الرجل بالزواج يكون قد دخل في مرحلة جديدة في حياته ؛ وهي مرحلة الرعاية لغيره والعناية بهم وزيادة أعبائه ومسئولياته ، وأنه مطالب بتحقيق حد الكفاية المعيشية له ولأسرته ؛ لذا لابد من قدرته على القيام بالأعباء والتكاليف التي ترتبت على زواجه من واجبات مادية ومعنوية نحو زوجته وأولاده.

---

١ ـ أخرجه أبو داود ـ كتاب النكاح ـ باب التحريض على النكاح ـ حديث رقم : ٢٠٤٦ .

٢ ـ سورة النور ؛ الآيتان : ٣٠ :٣١.

٣ ـ وجملة الكلام : أن عورة الرجل مع الرجل ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المرأة مع المرأة ، وأما عورة المرأة مع الرجل الأجنبي ؛ فجميع بدنها عورة ، إلا الوجه والكفين وهي معه كذلك ، والمحارم بعضهم مع بعض، وأما زوجة الرجل فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدنها إلا الفرج منهما فإن النظر إليه مكروه. معالم التنزيل والتأويل ؛ للبغوي ص ٩٠٥.

ومن هنا ندرك سر عظمة الإسلام ؛ حيث حرص على تهيئة البيئة الصالحة للطفل صاحب الشخصية السوية ؛ رجل المستقبل مادياً ومعنوياً معاً.

ومن صور حث الإسلام على الزواج والترغيب فيه ؛ أن يسر الشرع الحنيف الطرق المؤدية إليه ؛ ففي الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي وَهَبْتُ مِنْ نَفْسِي، فَقَامَتْ طَوِيلًا، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ ؛ قَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا؟» قَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي ؛ فَقَالَ: «إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِيَّاهُ جَلَسْتَ لاَ إِزَارَ لَكَ، فَالْتَمِسْ شَيْئًا» فَقَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ: «التَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَلَمْ يَجِدْ، فَقَالَ: «أَمَعَكَ مِنَ القُرْآنِ شَيْءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، لِسُوَرٍ سَمَّاهَا، فَقَالَ: «قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»([1]).

كما حرم الإسلام الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وسد كل الطرق المؤدية إليها ؛ فأمر بغض البصر وحفظ اللسان وصيانته عن فحش القول ورتب على ذلك عقوبةً مقدرةً شرعاً ؛ وهي حد القذف ، ودعا النساء إلى التزام الحشمة والوقار وعدم اللين في القول مع الرجال الأجانب لئلا يطمع فيهن من في قلبه مرض ؛ قال تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾([2]).

---

١ ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب : النكاح ـ باب : " السلطان ولي ؛ لقول النبي ﷺ : " زوجناكها على ما معك من القرآن " ـ حديث رقم : ٥١٣٥ ، والإمام مسلم في صحيحه بنحوه ـ كتاب النكاح ـ باب : " الصداق وجواز كونه خاتم حديد ، وغير ذلك من قليل وكثير" حديث رقم : ١٤٢٥.

٢ ـ سورة الأحزاب الآيتان : ٣٢ ، و٣٣ .

وحرم الزنا كذلك ، وهو إتيان الرجل امرأة أجنبية لا تحل له ؛ قال الله . تعالى . : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾(١) وقال . سبحانه . في صفة عباد الرحمن:﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾(٢).

وقد جعل الإسلام عقوبةً مترتبةً على هذا الفعل الشنيع سواء أكان الفاعل محصناً أم غير محصن ؛ فالمحصن جزاؤه الرجم بالحجارة حتى الموت ، وغير المحصن عقوبته جلد مائة جلدة وتغريب عام(٣).

وقد أُثر عن الرسول ﷺ أنه أمر برجم ماعز والغامدية وصاحبة العسيف فالرجم سنة فعلية وسنة قولية في وقت واحد" (٤).

وتجدر الإشارة هنا : إلى أمور ؛ منها :

. رحمة الإسلام بالمرأة التي ارتكبت الفاحشة والتخفيف عنها في حالة الحمل وتأخير إقامة الحد عليها حتى تضع طفلها وتتم فترة رضاعته ويتم فطامه ويستغني بالطعام عن لبن أمه ؛ عند ذلك يقام عليها الحد ، وما فعل الإسلام هذا الفعل إلا تقديراً وحماية وحفاظاً على تلك النفس المحصنة المكرمة .

. من صور العناية بالطفل في الإسلام مادياً وروحياً معاً ؛ العناية بصحة الأم الحامل أو المرضع والتخفيف عنها ؛ فرخص لها في الفطر في الصيام

---

١ ـ سورة الإسراء الآية : ٣٢.

٢ ـ سورة الفرقان الآية : ٦٨.

٣ ـ يُراجع : صحيح البخاري ـ كتاب الحدود ـ باب : " رجم المحصن " ـ ح : ٦٨١٢ ـ ص ٥٦٨، و" الاعتراف بالزنا " ـ ح : ٦٨٢٧ ـ ص ٥٦٩ ، و : " رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت " ـ ح : ٦٨٣٠ ـ ص ٥٦٩ ، و" البكران يجلدان وينفيان" ـ حديث رقم : ٦٨٣١ ـ ص ٥٧٠ "فالْجُمْهُورُ أعلى َنَّهُ يُنْفَى مَعَ الْجَلْدِ " الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٥ / ٨٧ ، ٨٨ ، ١٢ / ١٥٩ ، ويُراجع : تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ٢ / ٢٦٤، ٦ / ٥.

٤ ـ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ـ عبد القادر عودة ١ / ٦٤٠ ، ٦٤١، ويُراجع : صحيح البخاري كتاب : الحدود ـ باب :"الاعتراف بالزنا" ـ حديث رقم : ٦٨٢٧، وصحيح كتاب الحدود ـ باب : "من اعترف على نفسه بالزنا "ـ حديث رقم : ١٦٩٧. " فالرجم عقوبة الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأة ، ومعناه الرمي بالحجارة حتى الموت

حفاظاً عليها وعلى جنينها أو طفلها الرضيع لئلا ينقص عليه شيء من غذائه بسبب صيام أمه وسيأتي لهذا الأمر مزيد بيان لاحقاً إن شاء الله . كما لا يخفى على صاحب كل ذي لب ما يتمتع به المجتمع المسلم من طهر وعفة ونظافة وخلو من هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة ؛ لأنه مجتمع منضبط بضوابط الشرع الإسلامي الحنيف ومتبع لأوامر رسولنا العظيم سيدنا محمد ﷺوليس معنى هذا أنه مجتمع ملائكي ، وإنما هو مجتمع بشري يخطئ بعض أفراده فيقعون في مثل هذه الجرائم الخلقية ؛ ولكن وازع الضمير يظل بصاحبه حتى يعترف ويتطهر من تلك الآفة ، ومن ذلك الذنب الذي ارتكبه على حين غفلة [١]وما قصة ماعز والغامدية عنا ببعيد ؛ فقد وردت

في الصحيح[٢].

٢ . حسن الاختيار في الزواج : إن حسن اختيار كل من الزوجين لصاحبه سليماً معافى من الأمراض والعيوب الموجبة لفسخ النكاح تهيئةً لذرية تتمتع بصحة جيدة وأطفال أقوياء ؛ ولذا حث الإسلام كلاً من الزوجين على اختيار كل منهما للآخر على أساس الخلق والدين ؛ مع التمتع بالصحة الجيدة لكل منهما ؛ وفي هذا يقول الله . تعالي . : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[٣]" يَعْنِي: خَيْرَ مَنِ اسْتَعْمَلْتَ مَنْ قَوِيَ عَلَى الْعَمَلِ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: وَمَا عِلْمُكِ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ؟

١ـ يُراجع : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ للعلامة أبي الحسن الندوي ـ ص ٧٧.

٢ـ يُراجع :موسوعة الحديث الشريف ؛ الكتب الستة ؛ صحيح البخاري ـ كتاب الحدود ـ باب : " سؤال الإمام المقر : هل أحصنت " ـ ص ٥٦٩ حديث رقم : ٦٨٢٥ ، وصحيح مسلم ـ كتاب : الحدود ـ باب : " من اعترف على نفسه بالزنا " ـ ص ٩٧٨ـ حديث رقم : ٤٤٣٢ ، وسنن أبي داود ـ كتاب الحدود ـ باب : " في المرأة التي أمر انبي برجمها من جهينة" ـ حديث رقم : ٤٤٤٢ ـ ص ١٥٤٧ ، ١٥٤٨، وسنن الترمذي ـ كتاب الحدود ـ باب : " ما جاء في درء الحد ، عن المعترف إذا رجع " ـ حديث رقم : ١٤٢٨ ـ ص ١٧٩٦ ، وسنن ابن ماجه ـ كتاب الحدود ـ باب : " الرجم " ـ حديث رقم : ٢٥٥٤ ، ٢٥٥٥ ـ ص ٢٦٣٠.

٣ـ سورة القصص ، الآية : ٢٦.

قَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ: فَإِنَّهُ رَفَعَ حَجَرًا مِنْ رَأْسِ الْبِئْرِ لَا يَرْفَعُهُ إِلَّا عَشَرَةٌ. وَقِيلَ: إِلَّا أَرْبَعُونَ رَجُلًا وَأَمَّا أَمَانَتُهُ: فَإِنَّهُ قَالَ لِي امْشِي خَلْفِي حَتَّى لَا تَصِفَ الرِّيحُ بَدَنَكِ"(١).

وفي الحديث : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها و لجمالها ولدينها ، فأظفر بذات الدين تربت يداك »(٢).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»(٣)

وعن أبي حاتم المزني قال : قال رسول الله ﷺ: « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد " قالوا : يا رسول الله ، وإن كان فيه ؟ قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ثلاث مرات»(٤)

١ـ معالم التنزيل والتأويل ؛ للبغوي ص ٩٧٩، ويُراجع : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ؛ لابن عطية ٤/ ٢٨٤ ، ٢٨٥.

٢ ـ أخرجه الإمام البخاري في كتاب النكاح – باب الأكفاء في الدين -١٢٣/٦ ، والإمام مسلم في كتاب الرضاع – باب استحباب نكاح ذات الدين – صحيح مسلم بشرح النووي ٥١/١٠ – حديث رقم ١٤٦٦.

٣ ـ أخرجه الإمام الترمذي في سننه ـ سنن الترمذي ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي : (ت: ٢٧٩هـ) ـ تحقيق وتعليق العلامة : أحمد محمد شاكر ـ ٣ / ٣٨٦ ـ حديث رقم : ١٠٨٤ ـ الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر؛ وحسنه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ أيضاً في تخريج أحاديث المشكاة ؛ مشكاة المصابيح ـ لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي ت: ٧٤١هـ ـ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ـ ٢ / ٩٢٩ ـ حديث رقم : ٣٠٩٠ ـ الطبعة: الثالثة ـ ١٩٨٥م ـ المكتب الإسلامي – بيروت ـ لبنان.

٤ ـ أخرجه الإمام الترمذي في كتاب النكاح ـ باب " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه "ـ حديث رقم ١٠٨٥ ، وقال : هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة ، ولا نعرف له عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، والإمام أبو داود في المراسيل ـ تحقيق الشيخ : شعيب الأرنؤوط ـ ١ / ١٩٢ـ حديث رقم : ٢٢٤ـ الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ـ مؤسسة الرسالة – بيروت ـ لبنان.

من خلال ما سبق يتضح لنا :

أ . أن من مقاصد النكاح في الإسلام ؛ اختيار كل من الزوجين لصاحبه على أساس الخلق والدين مع القوة البدنية ؛ التي تمكن صاحبها من الحرفة والكسب والعمل حتى يغني من يعول ويعفهم عن الحرام.

ب . كما أن من مقاصد النكاح في الإسلام ؛ اختيار كل من الزوجين لصاحبه على أساس الأمانة ؛ التي تعصم صاحبها من الانحراف وتحول بينه وبين محارم الله . تعالى . و تجعله يؤدي الأمانات إلى أهلها ؛ كاملة غير منقوصة .

ج . أنه يجوز عرض الرجل كريمته على الرجل الصالح : وذلك لما فيه من خير وبركة على الأسرة جميعاً بما في ذلك الذرية والأطفال ؛ حيث يوجدون في بيئة طيبة ، طاهرة ، نظيفة ، نقية ، خالية من الملوثات المادية والمعنوية معاً ؛ وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾[١] ففيه دليل على جواز " عَرْضُ الولي ابنته عَلَى الرَّجُلِ، وَهَذِهِ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، عَرَضَ صَالِحُ مَدْيَنَ ابْنَتَهُ عَلَى صَالِحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَرَضَ عمر ابن الْخَطَّابِ ابْنَتَهُ حَفْصَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ، وَعَرَضَتِ الْمَوْهُوبَةُ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَمِنَ الْحَسَنِ عَرْضُ الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ، وَالْمَرْأَةُ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ، اقْتِدَاءً

١ـ سورة القصص ؛ الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.

بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ "[١]وقد عقد الإمام البخاري في كتاب النكاح باباً ؛ سماه : " باب : عرض الإنسان ابنته أو اخته على أهل الخير[٢].

٣ . الحفاظ على حياة الجنين وحمايته[٣]:

" لقد أحاط الإسلام حياة الجنين بسياج من الحفظ والرعاية ؛ فحرم قتله أو الاعتداء عليه ؛ كما حرص على سلامته ودفع الأذى عنه بكل السبل "[٤].ومن ذلك :

أ . أنه رخص الإسلام للمرأة الحامل في الفطر في شهر الصيام إذا خافت علي حياة جنينها ؛ وكذا المرضع حفاظاً على حياة طفلها الرضيع ؛قال الله . تعالى . : ﴿وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين﴾ " فأهل العلم يُرَوْن ويرجُون أن تثبت الرخصةَ للشيخ الكبير والمرأة العجوز الكبيرة إذا لم يطيقا الصومَ أن يفطرا ويُطعما عن كل يوم مسكينًا، وللحبلى إذا خشيت على ما في بطنها، وللمرضع إذا ما خشيت على ولدها "[٥] الفطر والإطعام كذلك.

١ـ تفسير القرطبي ١٣/ ٢٧١.

٢ـ عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَدِّثُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ [ص:١٤]: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ «خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ»، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبِلْتُهَا. صحيح البخاري ـ حديث رقم : ٥١٢٢.

٣ـ "الجنين كما تفيده عبارات كتب اللغة والتفسير وذوي الاختصاص ؛ هو : تلك المادة التي تتكون في الرحم من عنصري الحيوان المنوي والبويضة ، وهذا ما يؤيده معنى مادة : جنين ؛ فإنها راجعة إلى الاستتار المتحقق بهذا المعنى ، ومنه المجنون لاستتار عقله ، والجان لاستتاره عن أنظار الناس". الجنين والأحكام المتعلقة به في الفقه الإسلامي ـ د. محمد سلام مدكور ـ ص ٣١ ـ الطبعة : الأولى ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ مصر.

٤ـ مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية ص ٢٢٤.

٥ـ جامع البيان في تأويل القرآن ؛للطبري ٣ / ٤٢٦ ، ويُراجع : معالم التنزيل والتأويل ـ للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ـ ص ٩٠ ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان.

وأكد هذا الأمر حبر الأمة ؛ عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . قال : " والحبلى والمرضع إذا خافتا ؛ يعني : على أولادهما
أفطرتا وأطعمتا "[١].

وفي فقه السادة الشافعية تفريق بين فطرها بسبب خوفها على نفسها فقط و خوفها على جنينها أو طفلها الرضيع " فإن أفطرت خوفاً من حصول ضرر بالصوم على نفسها وجب عليها القضاء فقط قبل حلول شهر رمضان آخر. وإن أفطرت خوفاً على طفلها، وذلك بأن تخاف الحامل من إسقاطه إن صامت، أو تخاف المرضع أن يقل لبنها فيهلك الولد إن صامت، وجب عليها والحالة هذه القضاء والتصدق بمد من غالب قوت البلد عن كل يوم أفطرته"[٢].

يُلاحظ هنا عدة أمور منها :

. أن الإسلام رخص للمرأة في هذه المرحلة بالفطر ؛ حفاظاً على صحتها ، وصحة جنينها أو طفلها ؛ لأن الحمل والإرضاع يصيب الأم بالضعف والوهن منذ أول يوم في الحمل وحتى الانتهاء من الفطام ؛ مما يصيبها بفقر الدم غالباً ؛ قال الله . تعالى . ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾[٣]" أي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف. وقيل: المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل"[٤].

١ـ أخرجه الإمام أبو داود ـ كتاب الصيام ـ باب : " من قال : هي مثبتة للشيخ والحبلى " ـ حديث رقم :٢٣١٨.

٢ـ الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي ـ الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي ـ ٢ / ٩٤ ـ الطبعة: الرابعة، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م ـ دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق ـ سورية.
ويُراجع : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ لابن رشد ـ ٢ / ٦٣ ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر.

٣ـ سورة لقمان ؛ الآية : ١٤.

٤ـ الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ١٤ / ٦، ويُراجع : معالم التنزيل والتأويل ؛ للبغوي ٦ / ٢٨٧.

وقد يشمل لفظ الضعف كلا منهما ؛ أي : الأم وجنينها ؛ فوَهْناً عَلى وَهْنٍ معناه : ضعفا على ضعف، وقيل إشارة إلى مشقة الحمل ومشقة الولادة بعده، وقيل إشارة إلى ضعف الولد وضعف الأم معه، ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى تدرج حالها في زيادة الضعف، فكأنه لم يعين ضعفين بل كأنه قال حملته أمه والضعف يزداد عليها يوماً بعد يوم إلى أن ينقضي أمره"[١] بل حتى يتم فصاله وفطامه ؛ فإذا كانت الأم صائمة فقد يضر ذلك بجنينها ؛ نظراً لنقصان بعض العناصر الغذائية ؛ لذا ينصحها الأطباء ويوجهونها إلى العناية " بجملة نصائح حول غذائها الذي ينبغي أن يزداد فيه البروتين الموجود في اللحوم والدجاج والأسماك والبيض وتزداد فيه كمية الكالسيوم الموجود في اللبن ومنتجاته والفيتامينات والحديد والموجودة بكثرة في الخضروات الطازجة والفواكه"[٢].

كما قد يؤثر تعاطيها للعقاقير والأدوية سلباً على صحة الجنين ؛ أو الرضيع نظراً لما لها من آثار جانبية ؛ مما قد يودي بحياته أو يؤثر عليها سلباً فيكون عبئاً ثقيلاً على المجتمع بدل أن يكون شخصاً سوياً ذا مرة ؛ مؤمناً قوياً يحبه الله ـ سبحانه ـ ورسوله ﷺ والمؤمنون.

وقد أكد العلم الحديث هذه الحقيقة القرآنية ؛ يقول أهل الطب : إن الأم في هذه المرحلة تعاني من فقر الدم وهشاشة العظام ؛ لأن جنينها أو رضيعها يأخذ ما يحتاج إليه من الحديد والعناصر الهامة لتكوين دمه من دم أمه ولكي يبني عظامه يسحب من دمها وعظامها الكالسيوم والمواد الضرورية لبناء عظامه ؛ حتى ولو تركها هزيلة هشة العظام شاحبة الوجه تعاني من

١ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ؛ لابن عطية ـ ٤ / ٣٤٨ ، ٣٤٩، ويُراجع : مفاتيح الغيب ؛ للفخر الرازي ٢٥ / ١٢٠.

٢ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن ـ د. محمد على البار ـ ص ٤٤٤ـ الطبعة الثامنة ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩١ م ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة ـ المملكة العربية السعودية.

لين العظام ومن فقر الدم ؛ مع ملاحظة أن الجنين في فترة الحمل ينتفع من أمه في هذه المرحلة : بكل ما يحتاج إليه من غذاء وهواء ، ومناعة، وليس هذا فحسب ؛ بل يعطيها افرازاته من المواد السامة لتطردها بدلا منه إلى خارج الجسم [١] وسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

. في الحديث الشريف :«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ المُسَافِرِ الصَّوْمَ، وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الحَامِلِ أَوِ المُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوِ الصِّيَامَ»[٢]ذهب بعض العلماء إلى : أن فيه إشارة إلى إسقاط الصوم عن الحبلى والمرضع وعدم المطالبة به مستقبلاً؛ بل لا نكون مبالغين إذا قلنا : إن الله" شرع الرخصة للحامل والمرضع لحق الجنين والرضيع، وخوفاً على تضرره وضياعه بسبب الصوم، فرفع وجوب الصوم عن الحامل من أجل جنينها وعن المرضع من أجل رضيعها"[٣]فعن ابن عباس . رضي الله عنهما . : " أنه سئل عن مرضع في رمضان خشيت على ولدها فرخص لها في الفطر؛ قال علي: ولم يذكر قضاء ولا طعاما"[٤].

. بل إن في وجوب الصوم عليهما مع وجود الضرر نظر ؛ ولذا أوجب بعض العلماء عليهما الفطر ولا قضاء عليهما ولا كفارة ؛ حفاظاً على صحة الجنين والطفل الرضيع ؛ يقول الإمام ابن حزم . رحمه الله . : " فإن خافت المُرْضِعُ على المُرْضَعِ قلة اللبن وضيعته لذلك ولم يكن له غيرها، أو لم

١ـ يُراجع : السابق ص ٤٤٤ : ٤٤٨.

٢ـ أخرجه الإمام الترمذي ـ كتاب : الصوم ـ باب :" ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع" ـ حديث رقم : ٧١٥ ـ تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاكر وآخرين ـ ٣ / ٨٥ ـ الطبعة : الثانية ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ـ مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ مصر، ورمز له الألباني بأنه : " حسن صحيح" ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحوه ـ ٣١ / ٣٩٢ ـ حديث : ١٩٠٤٧ ، والإمام ابن ماجه في سننه ـ باب : "ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع " ـ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ـ ١/ ٥٣٣ ـ حديث رقم : ١٦٦٧، ورمز له المحقق بأنه : " حسن صحيح".

٣ـ موقع الأستاذ الدكتور / عبد الله الزبير ـ فتاوى وسؤلات ـ صيام الحامل والمرضع ـ الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

٤ـ المحلى بالآثار ٤/ ٤١٠ ، ٤١٢ ـ باختصار.

يقبل ثدي غيرها، أو خافت الحامل على الجنين: أفطرتا ولا قضاء عليهما ولا إطعام.

وأما وجوب الفطر عليهما في الخوف على الجنين، والرضيع فلقول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1]وقال رسول الله ﷺ :«مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[2] فإذ رحمة الجنين، والرضيع: فرض، ولا وصول إليها إلا بالفطر: فالفطر فرض؛ وإذ هو فرض فقد سقط عنهما الصوم، وإذا سقط الصوم ؛ فلا قضاء عليهما "[3].

ب . شرع الإسلام تأخير إقامة الحد عن المرأة الحامل حتى تضع ؛ وكذا المرضع حتى يستغني الطفل الرضيع عن لبنها ويبلغ سن الفطام ؛ أي : حولين كاملين .

وقد روت لنا كتب السنة النبوية العطرة موقف الرسولﷺ مع المرأة الجُهنية التي اعترفت بارتكاب الفاحشة بين يديه ﷺ وأخبرتهﷺ بأنها حبلى ، فردها حتى تضعه ، ثم ردها حتى ترضعه ، ثم ردها حتى يبلغ الفطام ؛ وعند ذلك أمر النبيﷺ بأن يُقام عليها الحد[4].

ج . أجاز الإسلام إجراء عملية جراحية للمرأة الحامل إذا ماتت ؛ وذلك بشق بطنها وإخراج الجنين منه ؛ إذا تم التحقق من حياته ؛ قال الإمام ابن حزم . رحمه الله . : " مسألة : ولو ماتت امرأة حامل والولد حي يتحرك قد تجاوز ستة أشهر فإنه يشق بطنها طولا ويخرج الولد ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ

١ـ سورة الأنعام ؛ الآية : ١٤٠.

٢ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب : الأدب ـ باب : " رحمة الولد وتقبيله ومعانقته" ـ حديث رقم : ٥٩٩٧.

٣ـ المحلى بالآثار ٤/ ٤١٠ ـ دار الفكر – بيروت ـ لبنان ـ بدون ـ بتصرف يسير.

٤ـ يراجع : صحيح مسلم ـ كتاب : الحدود ـ باب : " من اعترف على نفسه بالزنا " ـ حديث رقم : ٤٤٣٢ ، وسنن أبي داود ـ كتاب الحدود ـ باب : " في المرأة التي أمر انبي برجمها من جهينة" ـ حديث رقم : ٤٤٤٢ ، وسنن الترمذي ـ كتاب الحدود ـ باب : " تربص الرجم بالحبلى حتى تضع " ـ حديث رقم : ١٤٣٥ ، وسنن ابن ماجه ـ كتاب الحدود ـ باب : " الرجم " ـ حديث رقم : ٢٥٥٥.

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [١]ومن تركه عمدا حتى يموت فهو قاتل نفس"[٢].

وممن ذهب جواز شق بطن الأم إنقاذاً لجنينها الحي الإمام : سفيان الثوري . رحمه الله . حيث " سئل عَنْ امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَفِي بَطْنِهَا وَلَدٌ يَتَحَرَّكُ، مَا أَرَى بَأْسًا أَنْ يُشَقَّ بَطْنُهَا "[٣].

وعند الشافعية " لَوْ دُفِنَتْ امْرَأَةٌ فِي بَطْنِهَا جَنِينٌ تُرْجَى حَيَاتُهُ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ فَأَكْثَرُ نُبِشَتْ وَشُقَّ جَوْفُهَا وَأُخْرِجَ تَدَارُكًا لِلْوَاجِبِ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ شَقُّ جَوْفِهَا قَبْلَ الدَّفْنِ"[٤].

وخالف الحنابلة ؛ فمذهبم أن لا يُشق بطنها في مثل هذه الحالة ؛ سواء أكانت مسلمة أم ذمية ؛ لما فيه من هتك حُرمة متيقنة ؛ والمراد حُرمة الأم للإبقاء على حياة موهومة ؛ وهي : حياة الطفل ؛ وإنما تُخرجه القوابل[٥] من مخرجه الطبيعي كما لو كانت أمه حية[٦].

وَاحْتَجَّ الإمام أَحْمَدُ . رحمه الله . بِقَوْلِ رسول الله ﷺ: « كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِ عَظْمِ الْحَيِّ»[٧] وأن ذلك من المُثلة المنهي عنها شرعاً [٨].

١- سورة المائدة ؛ الآية: ٣٢.
٢- المحلى٣ / ٣٩٥ ، ٣٩٦.
٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين - للإمام ابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ - تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم - ٤ / ١٢٨ - الطبعة: الأولى - ١٤١١هـ - ١٩٩١م - دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان.
٤- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج - للخطيب الشربيني ٢ / ٥٩ - الطبعة : الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٥- القوابل جمع قابلة ، والقابلةُ : المُوَلِّدَة ، وهي : الْمَرْأَة الَّتِي تساعد الوالدة ؛ بأن تتلقى الْوَلَد منها عِنْد الْولادَة . لسان العرب ٣/ ٤٦٩ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٧١٢.
٦- يُراجع : المغني - لابن قدامة ٢ / ٤١٠ ، ٤١١ ، والموسوعة الفقهية الكويتية - ٤٠ / ٣٠ - الطبعة الثانية، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.
٧- أخرجه الإمام أبو داود في سننه - كتاب الجنائز - باب : " الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان" - حديث رقم : ٣٢٠٧ ، والإمام ابن ماجه - كتاب الجنائز - باب :" في النهي عن كسر عظم الميت " حديث رقم : ١٦١٧- وذكره العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته - ٢ / ٨٢٦ - حديث رقم : ٤٤٧٨- المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.
٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ وَهُوَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: " نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْمُثْلَةِ وَالنُّهْبَةِ ". مسند أحمد ط الرسالة٣١ / ٣٩ - حديث رقم : ١٨٧٤٢.

والحق أن هذا الأمر ليس من المُثلة المنهي عنها شرعاً في شيء ؛ وإنما هو عبارة عن مجرد إجراء عملية جراحية يفتح فيها بطن الأم ، ثم يُخاط كما كان وهو بهذا ليس فيه أي إهانة تُذكر لكرامتها كمخلوق مكرم من بني آدم ؛ فالعملية ليست مُثلة بحال من الأحوال.

وعليه فالراجح في هذه المسألة ؛ هو: ما ذهب إليه الإمام ابن حزم والشافعية وسفيان الثوري : من أنه يشق بطنها وجوباً إن ظنت سلامته، واستحباباً إن احتمل، وإباحةً مع ضعف ظن السلامة ؛ لأن التعليل بالمثلة قد زال في وقتنا الحاضر[1].

د . نهى الشرع عن جماع الحائض والنفساء:

حرم الإسلام وطء الحائض والنفساء ؛ لما فيه من الضرر الحسي والمعنوي ؛ حفاظاً على صحة الوالدين من الإصابة بالأمراض ؛ من أجل الحفاظ على صحة أولادهما ؛ إذ هم الثمرة الطبيعية للزواج الشرعي ؛ لأنه سيترتب على إصابة الأب والأم بالأمراض وهن وضعف بدني ومالي يؤدي إلى التقصير في رعايتهم صحياً وبدنياً.

ومن هنا ندرك سراً من أسرار الأمر بالعزل عن النساء في فترة الحيض والنفاس ، والمراد به مباشرة الحائض والنفساء من وراء حجاب.

قال الله . تعالى . : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾[2].

١ـ **وذلك لأمور ؛ منها :**

أولاً ـ أن بطن الأم إذا شق ، ثم خيط بعد إخراج الجنين منه ، فقد زالت المُثلة.

ثانياً ـ أن حرمة الحى أعظم من حرمة الميت.

ثالثاً ـ أنه لا سبيل لإنقاذ الجنين من الهلكة، إلا بذلك ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ إذا تقينا أو غلب على الظن من خلال الوسائل الحديثة أنه حي.

رابعاً ـ أن في شق بطن الأم الحامل الميتة لإنقاذ جنينها مصلحة راجحة ؛ تدور بين الوجوب ، والندب ، والإباحة. المنتقى من فرائد الفوائد ١ / ١٧٣، ١٧٤ـ طبعة سنة :١٤٢٤ هـ ـ دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ بتصرف.

٢ـ سورة البقرة ؛ الآية : ٢٢٢.

أي : في زمن الحيض، وفي محل الحيض ، ومقصود هذا النهي ترك المجامعة "[١].

ويباح للزوج كل شيء من زوجته ما عدا الجماع ، ومن العلماء من قال : يباح له ما فوق الإزار فقط سداً للذريعة وكلهم من رسول الله ملتمس رضي الله عنهم أجمعين " قال مالك والشافعي والأوزاعي وأبو حنيفة وأبو يوسف وجماعة عظيمة من العلماء: له منها ما فوق الإزار، لقوله عليه السلام للسائل حين سأله-:«ما يَحِلُّ لي مِنَ امرأتي وهي حائِضٌ؟ قال: "لَكَ ما فوقَ الإزارِ»[٢]ولقوله عليه السلام: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ »[٣] قال العلماء: مباشرة الحائض وهي مأتزرة سداً للذريعة "[٤] فعن عائشة قالت . رضي الله عنها . : «كانت إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله ﷺ فتأتزر بإزار ثم يباشرها»[٥].

هـ . شرع الإسلام عقوبة للجناية على الجنين:

إن الإسلام يعتبر الجنين نفساً لها حرمتها ، وتجب صيانتها والحفاظ عليها وعدم إتلافها والاعتداء عليها ؛ لأنه جريمة يعاقب عليها الشرع ؛ فإذا ما تسبب أحد في موته بأي عمل أو أي طريقة وتمت الجناية ؛ بأن انفصل ميتاً من بطن أمه ، أو حياً ثم مات بسبب فعل الجاني ، قولاً أو فعلاً أو تركاً ؛ سواء أكان مادياً أو معنوياً، وثبتت على الفاعل الجناية ؛ حينئذ وقعت عليه العقوبة التي قررها الإسلام ؛ غرة عبد أو أمة ، وقيمتها خمس

١ـ الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٣ / ٨٦.
٢ـ جزء من حديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه ـ كتاب الطهارة ـ باب:" في المذي " ـ ١ / ١٥٢ ، ١٥٣ـ حديث ٢١٢ ، وصححه الشيخ / شعيب الأرنؤوط.
٣ـ جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم ـ كتاب الحيض ـ باب : " غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها ، والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه " ـ حديث رقم : ٣٠٢.
٤ـ الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٣ / ٨٧ ـ باختصار.
٥ـ أخرجه الإمام مسلم ـ كتاب الحيض ـ باب : " مباشرة الحائض فوق الإزار " ـ حديث رقم :٢٩٣.

من الإبل ؛ سواء أكان ذكراً أوأنثى[١]"فالقول : كالتهديد والتخويف المفضي إلى سقوط الجنين، والفعل : كالضرب ونحوه أوإجبارها على تناول دواء أو غيره فتُلقي جنينا، والترك : كأن يمنعها الطعام أو الشراب حتى تُلقي الجنين وكانت الأجنة تسقط بذلك ؛ فتجب الغرة فيه إن انفصل ميتا بجناية على أمه الحية مؤثرة فيه "[٢]وإذا سقط حياً ثم مات ففيه الدية كاملة ؛ مائة من الإبل[٣].

فإذا ضُربت امرأة حامل فأسقطت جنينها، وكان قبل تمام الأربعة أشهر ؛ وجبت فيه الدية (الغرة) دون الكفارة ، وإن كان بعد أربعة أشهر ؛ وجبت فيه الكفارة مع الغرة ؛ لأنه قتل نفساً مؤمنةً خطأً وإلى هذا الرأي ذهب الشافعية وابن حزم.

وعمدة ابن حزم فيما ذهب إليه ؛ الآية الكريمة الواردة في دية القتل الخطأ[٤] وأما الشافعية : فيوجبون الكفارة في العمد والخطأ ، ومن لم يُوجبها؛ كالمالكية فحملوها على الرجل الحر إذا ما قُتل خطأ ، ومع هذا استحسنوها ؛ وأما الأحناف : فلم يوجبوا الكفارة هنا ؛ لأنها لا تجب إلا في القتل الخطأ عندهم[٥].

ولو تعددت الأجنة التي سقطت ؛ لتعددت الغُرة بعددهم [٦] ففي كل جنين يسقط ميتاً؛ بسبب الجناية على أمه غرة عبد أو أمة.

١ـ يُراجع : مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية ص ٢٢٤، ومغني المحتاج ؛ للخطيب الشربيني ٥ / ٣٦٩، والمغني لابن قدامة ٨ / ٤٠٤ ، ٤٠٥، ٤٠٩.
٢ـ مغني المحتاج ؛ للخطيب الشربيني ٥ / ٣٦٩.
٣ـ المغني لابن قدامة ٨ / ٤٠٩.
٤ـ قال تعالى : " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ". سورة النساء ؛ الآية : ٩٢.
٥ـ يُراجع : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ؛ لابن رشد ـ ٤ / ١٩٩ ، والمحلى ؛ لابن حزم ١١/ ٢٣٦، ٢٣٧، والمدونة في فقه الإمام مالك ٤ / ٦٣١ . الطبعة : الأولى ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
٦ـ يُراجع : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ؛ لابن رشد ـ ٤ / ١٩٨ ، ١٩٩، والمغني ؛ لابن قدامة ٨ / ٤٠٩.

ثانياً : رعاية الطفل بعد ميلاده : من صور العناية بالطفل بعد مولده ؛ العناية بصحة أمه خلال فترة الرضاعة ؛ كما كان هناك اهتمام بالغ بها أثناء فترة الحمل ، والهدف من ذلك هو قدرة الأم على توفير الغذاء المتكامل الغني بالعناصر الغذائية المناسبة لبناء جسمه والمساعدة على اعتدال مزاجه وحالته النفسية ، وفيما يأتي ذكر بعض ما يكون من حقوق للأطفال نحو والديهم:

١. استحباب تحنيك الطفل عقب الولادة :

يُستحب تحنيك الطفل فور ولادته بتمرة أو نحوه ؛ ويُقصد به وضع شيء من تمر أو معجونه في فم الطفل الوليد ؛ ليكون أول شيء يدخل جوفه وهذا من هدي رسول الله ﷺ مع أطفال المسلمين فور ولادتهم ؛ فعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ «دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلاَمِ»[1].

والحكمة منه : أن حليب الأم قد يتأخر عن طفلها الرضيع لبعض الوقت ؛ انشغالاً بالوضع وما يتبعه من حالة صحية للأم غير مستقرة حينذاك ؛ مما يجعل الرضيع يحتاج إلى غذاء يغنيه بعض الوقت حتى يتهيأ ثدي أمه ويدر له برزقه بإذن ربه سبحانه ، وهنا تأتي السنة النبوية العطرة بالحث

١ـ أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب العقيقة ـ باب : " تسمية المولود غداة يُولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه " ـ حديث رقم :٥٤٦٩ ، والإمام مسلم ـ كتاب : الأدب ـ باب : " استحباب تحنيك المولود عند ولادته" ـ حديث رقم : ٢١٤٦.

على تحنيك الطفل بالتمر أو ما شابه عند عدم وجوده بمادة تكون غنية بالسكر الذي يحتاج إليه الطفل في ذلك الوقت عقب الولادة مباشرة [١].

وتجدر الإشارة إلى أن التحنيك بالتمر ومشتقاته أفضل ؛ لأنه اتباع للسنة النبوية العطرة ولما فيه من موافقة للفطرة ؛ تجعل الطفل مستقبلاً مشروع الشخصية السوية مقبلاً على كل ما هو محمود ومبتعداً عن كل ما هو سيء ومرذول ، وهذا من أسرار تحنيكه عند الولادة ؛ فضلاً عن أثاره المادية وما يتعلق بغذائه وصحته واهتمام الإسلام به وبرعايته في كل لحظات حياته ؛ منذ اختيار الأب والأم لكل منهما على أساس الخلق والدين مع وجود القوة التي تعين كل منهما على القيام بأعباء الزواج والتي هو من ثمارها الكبرى ، ومروراً بفترة الحمل ؛ فخفف الشرع الحنيف عن أمه حفاظاً على صحته ؛ حتى لا تتأثر عملية بنائه وتغذيته وهو في بطن أمه ؛ ثم لم يغفل عنه لحظةً ؛ ففور ولادته حث الإسلام على وضع شيء من التمر في فمه ؛ لأنه يحتاج إليه في ذلك الوقت ؛ نظراً لإرهاق أمه ومعانتها من آثار عملية الوضع والولادة فقد يترتب على ذلك تأخر لبن ثدييها.

٢ . **الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى:** يستحب الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى ؛ ليكون أول ما يقرع سمعه عند قدومه إلى الدنيا هو ذكر الله . تعالى . وتوحيده كما يكون هو آخر شيء يسمعه عند خروجه منها ؛ فعن أبي رافع، قال: رأيت النبي ﷺ : « أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة »[٢].

١ـ يُراجع : من رعاية الطفولة في الإسلام ؛ تحنيك المولود وما فيه من إعجاز علمي ـ د. محمد علي البار ـ مقال منشور بصفحة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

٢ـ أخرجه الإمام أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب : " في المولود يؤذن في أذنه" حديث رقم : ٥١٠٥.

، والإمام الترمذي في ـ كتاب : الأضاحي ـ باب : " الأذان في أذن المولود" حديث رقم : ١٥١٤. وقال : " هذا حديث حسن صحيح والعمل عليه "

الإمام أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب : " في المولود يؤذن في أذنه" حديث رقم : ٥١٠٥.

وفي هذا إشارة إلى ولادته على الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي الإسلام ؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال :« مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»[١]وتحصيناً للمولود من أن يمسه الشيطان بسوء[٢].

وورد عن بعض السلف . رضي الله عنهم . أنه : " كان يؤذن في اليمنى ويقيم في اليسرى إذا ولد الصبي"[٣].

٣ . **حسن تسميته** : لقد خلق الله الإنسان لهدف ولغاية ؛ وهي إعمار الكون وطاعة الله . سبحانه . وهذا يقتضي منه أن يكون إيجابياً متفاعلاً مع بني جنسه ؛ متعاوناً قدر استطاعته وحسب إمكاناته ؛ ولذا حث الإسلام الوالدين على حسن اختيار أسماء أبنائهم حتى لا يكونوا عرضة للسخرية والاستهزاء من قبل الآخرين ؛ حتى يكونوا أعضاءً فاعلين في المجتمع ولا يميلوا إلى العزلة والانكماش هرباً من لقاء الآخرين ؛ ولذا " فقد جعل الإسلام من حقوق الأبناء على الآباء أن يختاروا لهم أسماء حسنة غير مستهجنة أو قبيحة ، حتى لا تكون سبباً في إيذائهم في كل آن ، ومعرضة إياهم لسخرية الأطفال والكبار واستهزائهم بهم.

ولقد عُني رسول الله ﷺ بهذا الأمر عنايةً فائقةً؛ فكان يحث على تحسين الاسم ، ويرشد إلى الأسماء الحسنة ويحذر من التسمي بالأسماء القبيحة وكثيراً ما كان يقوم بنفسه بتغيير بعض الأسماء"[٤].

١ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحة ـ كتاب : الجنائز ـ باب :" ما قيل في أولاد المشركين" حديث رقم : ١٣٨٥ ، والإمام مسلم ـ كتاب : القدر ـ باب : " معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين" ـ حديث رقم : ٢٦٥٨.

٢ـ يُراجع : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٦/ ١٤٣، والمغني لابن قدامة ٩ / ٤٦٤.

٣ـ شرح السنة ؛ للبغوي ـ ١١ / ٢٧٣.

٤ـ مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية ص ٢٥٠ ، ٢٥١.

ومن ذلك قوله ﷺ : «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[١].

وقد غيرﷺ كثيراً من الأسماء إلى ما هو أفضل ؛ لقد " غير النبي ﷺ اسم العاص ، وعزيز ، وعتلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب ، وشهاب ؛ فسماه :هشاماً، وسمى حرباً : سلما ، وسمى المضطجع : المنبعث ، وأرضاً تُسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى ، وبنو الزنية سماهم الرشدة ، وسمى بني مغوية بني رشدة ؛ قال أبو داود : تركت أسانيدها للاختصار "[٢].

٤ . **إرضاعه طبيعياً من ثدي أمه :** لقد جعل الإسلام الرضاعة حقاً مقرراً للطفل نحو والديه ؛ وحقه فيه مفروض شرعاً ؛ على الأم ؛ أما إذا جف لبن ثديها فعلى والد الطفل إحضار مرضعة ترضعه ؛ وإن لم يجد فيلجأ إلى الرضاعة الصناعية[٣].

هذا إذا كانت رابطة الزوجية قائمة بين الزوجين ؛ أما إذا كان هناك طلاق وانفصال بينهما ؛ فلا يجب الرضاع على الأم في هذه الحالة ؛ بل يُستحب ؛ فهذا الأمر محمول على الندب من حيث إن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من سائر الألبان قال الله . تعالى . : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[٤]. ففي الآية الكريمة إشارة إلى الأمهات " الْمُطَلَّقَاتُ اللَّاتِي لَهُنَّ أَوْلَادٌ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ يُرْضِعْنَ، خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَهُوَ أَمْرُ اسْتِحْبَابٍ لَا أَمْرُ إِيجَابٍ، لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ الْإِرْضَاعُ إِذَا كَانَ يُوجَدُ مَنْ تُرْضِعُ الْوَلَدَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ

١ـ أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب ـ باب " في تغيير الأسماء" ـ حديث رقم : ٤٩٤٨.
٢ـ موسوعة الحديث الشريف ؛ الكتب الستة ـ سنن أبي داود ـ ص ١٥٨٦.
٣ـ يُراجع : موسوعة عالم الإنسان ٢ / ٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٣ / ١٦١ .
٤ـ سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣.

لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [١]فَإِنْ رَغِبَتِ الْأُمُّ فِي الْإِرْضَاعِ فَهِيَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهَا "حَوْلَيْنِ كَامِلَيْن" أَيْ سَنَتَيْنِ، وَذَكَرَ الْكَمَالَ لِلتَّأْكِيدِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [٢] فَبَيَّنَ اللَّهُ . تَعَالَى . أَنَّهُمَا حَوْلَانِ كَامِلَانِ، أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: بَيَانُ أَنَّ الرَّضَاعَ الَّذِي تَثْبُتُ بِهِ الْحُرْمَةُ مَا يَكُونُ فِي الْحَوْلَيْنِ، فَلَا يَحْرُمُ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْوَالِدَاتِ إِرْضَاعَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ثُمَّ أَنْزَلَ التَّخْفِيفَ فَقَالَ: {لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} أَيْ هَذَا مُنْتَهَى الرَّضَاعَةِ وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ ذَلِكَ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مِقْدَارِ صَلَاحِ الصَّبِيِّ وَمَا يَعِيشُ بِهِ "[٣].

من خلال ما سبق يتضح عدة أمور؛ منها :

. أن الطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى رعاية الأم أكثر من الأب ؛ ولذا بدأ القرآن بمخاطبتها(والوالدات يرضعن) ثم ثنى بذكر الأب الذي يُناط به توفير وتدبير كل ما تحتاج إليه الأم ووليدها في هذه الفترة ؛ حرصاً على مصلحة الطفل الرضيع ؛ إذ التقصير في حقها أو الإهمال سيعود على ولده بالضرر.

. أن الاسلام قد قرر حق الرضاعة الطبيعية للمولود حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وذهب إلى هذا القول فريق من العلماء.

. أن الرضاع الذي تثبت به الحرمة وتترتب عليه أثاره الشرعية ما كان في الحولين.

١ـ سورة الطَّلَاقِ ؛ الآية : ٦.

٢ـ سورة الْبَقَرَةِ ؛ الآية : ١٩٦.

٣ـ معالم التنزيل والتأويل ؛ للبغوي ص ١٣٧، ويُراجع : الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٣ / ١٦١ : ١٦٣، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ؛ للفخر الرازي ٦/ ٤٥٩ ـ ٤٦١.

. إذا كانت الأم المرضع مطلقة ؛ شرع الإسلام للأم أجرة الرضاع إذا رغبت في ذلك.

. أن من حكم هم النبي ﷺ بالنهي عن جماع المرضع ؛ المحافظة على صحة الطفل الرضيع؛ لما قد يترتب عليه من حمل يؤثر على لبن الأم فيقل أو يجف ؛ مما يضطر الأم إلى التعجيل بفطامه فيؤدي هذا إلى إضعاف بنيته الجسدية ؛ لما له من أثر كبير على صحته وبنيته البدنية[١].

ومن هنا ندرك طرفاً من أسرار كراهة رسول الله ﷺ وطء المرضع ؛ ففي الحديث عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ سِرًّا، فَإِنَّ قَتْلَ الْغَيْلِ[٢] يُدْرِكُ الْفَارِسَ، فَيُدَعْثِرُهُ عَنْ فَرَسِهِ»[٣].

وعن جدامة بنت وهب الأسدية، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك، فلا يضر أولادهم»[٤].

وقد ذكر لنا القرآن الكريم قصة رضاع نبي الله موسى . عليه السلام . وكيف تحقق وعد الله لأمه ؛ حيث رفض كل مرضعة جاءت لإرضاعه ، ولما عُرض عليه ثدي أمه قبله وفي هذا إشارة إلى قول الله . تعالى . في صدر

١ـ يُراجع غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم ابن سلام ـ ٣ / ١٦٩(غير).
٢ـ **الْغَيْلِ والغِيلَة والغَيْلَة** ، وهو: " أَن يُجَامع الرجل الْمَرْأَة وَهِي مرضع" و"**يُدَعْثِرُهُ عَنْ فَرَسِهِ**" أَيْ : يهدمُهُ ويصْرعهُ ويُهْلِكُه، وَالْمُرَادُ : النَّهْيُ عَنِ الغِيلةِ، وَهيَ أَنْ يجَامِع الرَّجل امرأَتَه وَهِيَ مرْضِعٌ ، وَرُبَّمَا حَملت، فَإِذَا حَمَلَتْ فَسَدَ لَبَنها، يُرِيدُ أَنَّ مِنْ سُوءِ أَثْره فِي بَدَن الطِّفل وإفْسَاد مِزَاجِهِ وإرخَاء قُوَاهُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يزَالُ ماثِلاً فِيهِ إِلَى أَنْ يشْتَدَّ ويَبْلغ مبلَغ الرِّجالِ، فَإِذَا أَرَاد مُنَازَلة قِرْنٍ له فِي الْحَرْبِ وَهَن عَنْهُ وانْكَسَر. وسَبَبُ وَهْنِهِ وَانْكِسَارِهِ الْغَيْلُ. النهاية في غريب الحديث والأثر٣ / ٤٠٢ ٢/ ١١٨ (دعثر) ويُراجع : غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/ ١٠٠.
٣ـ صحيح ابن حبان – مخرجا ١٣/ ٣٢٢ ـ حديث رقم : ٥٩٨٤، وحسنه الشيخ الألباني والشيخ شعيب.
٤ـ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب: النكاح ـ باب : " جواز الغيلة وهي وطء المرضع ، وكراهة العزل" ـ حديث رقم : ١٤٤٢، يُراجع غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم ابن سلام ـ ٣ / ١٦٩(غير).

سورة القصص : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١].

ويُلاحظ هنا أمور منها :

. أهمية إرضاع الأم لطفلها ؛ ولذا ورد الأمر إلى أم موسى . عليه السلام . بإرضاعه ؛ لما لذلك من تأثير فاعل في بناء شخصيته مادياً ومعنوياً.

. نشأة موسى . عليه السلام . في قصر الفرعون وما كان لذلك من أثر في قوة جسده وبناء بدنة ؛ كما كان لنوعية وكمية الطعام ومستوى المعيشة في القصر كبير الأثر في قوته الجسدية وبنيانه البدني ؛ فكان قوي الجسم بفضل تلك النشأة ، ومن قوته أنه قتل الرجل المصري بمجرد وكزة بيده[٢]دون قصد منه ، وأنه : رفع غطاء البئر وسقى لابنتي شعيب وحده ، وكان يرفعه العصبة أولو القوة من الرجال .

ومن اهتمام القرآن الكريم بصحة الطفل السوي أن " نزلت ثلاث آيات قرآنية تتحدث عن الرضاع ومدته وهي بترتيب النزول في سورة لقمان ثم الأحقاف ثم البقرة ؛ ففي سورة لقمان جاء الحديث عن الحمل والفطام ومدتهما ، وفي سورة الأحقاف جاء الحديث عن مدة الحمل والرضاع والفطام ، وفي سورة

١ـ سورة القصص ؛ الآية : ٧ .

٢ـ "وَكَزَهُ وَكْزاً: دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ مِثْلُ نَكَزَه. والوَكْزُ: الطَّعْنُ. ووَكَزَه أَيضاً: طَعَنَهُ بجُمْعِ كَفِّهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ﴾ (سورة القصص ؛ الآية : ١٥) وَقِيلَ: وَكَزَه أَي ضَرَبَهُ بجُمْعِ يَدِهِ عَلَى ذَقَنِه. وَفِي حَدِيثِ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ : "فَوَكَزَ الفِرْعَوْنِيَّ فَقَتَلَهُ" ؛أَي: نَخَسه. وَفِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ:
"إِذ جَاءَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَ فقمتُ " (جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط٦ / ٢١١ ـ حديث رقم :٦٢١٤ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ مصر ـ بدون). لسان العرب ـ (وكز) ٥ / ٤٣٠.

البقرة جاء الحديث مفصلاً عن الرضاع علماً وتشريعاً ؛ فبعد الإجمال في سورتي لقمان[١] والأحقاف[٢]كان التفصيل في سورة البقرة " [٣].

وقد سبقت الإشارة آنفاً لآية الرضاع الواردة في سورة البقرة .

وتجدر الإشارة إلى أن الرضاعة شاقة على الأم ومرهقة لها ؛ لذا خفف الإسلام عنها بعض التكاليف الشرعية ؛ ففي الحديث عن أنس . رضي الله عنه . أن النبي ﷺ قال:« إِنَّ اللَّهَ . عَزَّ وَجَلَّ . وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ»[٤]. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الأمر بشيء من التفصيل آنفاً ..

وقد أيد العلم الحديث تلك الحقيقة القرآنية التي حثت الأم على القيام بإرضاع وليدها ؛ وجوباً أو استحباباً ؛ مراعاةً لحالها ؛ لأن لبنها خير غذاء لطفلها ؛ فالأطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية أكثر عرضةً للأمراض من الأطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الطبيعية وخاصةً التي تقوم بها الأم . مادام ليس هناك مانع معتبر . وذلك لأن الأم بالإضافة لإرضاع طفلها من لبنها ما يقيم أوده ويبني جسده ويروي عطشه ويغذيه وينميه ؛ ترضعه كذلك محاسن العادات وجميل الصفات ومكارم الأخلاق مع العطف والحب و الحنان وهذا هو الغذاء الروحي والنفسي وهو لا يقل أهميةً عن الغذاء البدني ؛ بل هو في الحقيقة أهم غذاء للطفل في تلك المرحلة[٥].

١- قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ سورة لقمان ؛ الآية : ١٤، وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ﴾ سورة الأحقاف ، الآية : ١٥.

٢- سورة الأحقاف ، الآية : ١٥.

٣- موسوعة عالم الإنسان ٢ / ٧٢.

٤- الحديث أخرجه الإمام أحمد ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٣ / ٤٣٦ ، وقال المحقق : " حديث حسن" حديث رقم ٢٠٣٢٦ ، والنسائي ؛ في الصغرى ـ كتاب الصيام ـ باب : وضع الصوم عن الحبلى والمرضع ـ حديث رقم ٢٣١٧.

٥- يُراجع : خلق الإنسان بين الطب والقرآن ـ ص ٤٧٢.

فإذا حال الواقع دون إرضاع الأم لطفلها بأن كانت مريضةً أو جف لبنها ؛ فعلى الأب أن يحضر لبناً صناعياً أو مرضعةً تقيةً ورعةً من أهل الصلاح والتقى؛ لأن اللبن يُعدي(١) وفي هذا يقول الإمام الغزالي . رحمه الله . : " إن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ؛ فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبيث ؛ فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث" (٢). ومن هنا ندرك سراً من أسرار جعل الرضاع متعيناً على الأم إن لم يكن عندها عذر شرعي يمنعها من القيام بذلك ، وسبحان الخلاق العليم.

هذا وللرضاعة فوائد كثيرة (٣) . ذكرتها في الهامش طلباً للاختصار..

١ـ مسئولية المسلم الأب في تربية الولد ـ د. عدنان حسن صالح باحارث ـ ص ٥٦ ـ الطبعة : السادسة ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ دار المجتمع للنشر والتوزيع ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية ، ويُراجع : موسوعة عالم الإنسان ٢ / ٧٧ : ٨٢ ، والإسلام وبناء المجتمع ص ٢٢٩، والجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي ٣ / ١٦١..

٢ـ إحياء علوم الدين ـ حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ـ ٣ / ٧٢ـ بدون ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٣ـ **من فوائد الرضاعة الطبيعية للأم ووليدها:** في رضاعة الأم طفلها طبيعياً نفع كبير لهما وحفظ لصحة كل منهما ، و من ذلك:

(أ) لبن الأم معقم ، جاهز، خالي من الميكروبات.

(ب) لبن الأم لا يماثله أي لبن آخر ؛ فهو قد صمم وركب ليفي بحاجات الطفل يوما بيوم منذ ولادته وحتى يكبر إلى سن الفطام.

(ج) لبن الأم فيه مناعة للطفل ضد الأمراض المختلفة ؛ لأن ثدي في الأيام الثلاثة الأولى يفرز اللِبَأ(٣): وهو سائل خفيف أصفر ويحتوي على كميات مركزة من البروتينات المهضومة وعلى المواد المحتوية على مضادات الجراثيم والميكروبات.

(د) يحتوي لبن الأم على كمية كافية من البروتين والسكر بنسب تناسب الطفل تماما بينما البروتينات الموجودة في لبن الأبقار والأغنام والجواميس عسرة الهضم على معدة الطفل لأنها صممت لتناسب أطفال تلك الحيوانات.

(هـ) الرضاعة الطبيعية من ثدي الأم تقي الطفل من موت المهاد الذي يصيب كثيراً من أطفال الرضاعة الصناعية ؛ ففي تقارير هيئة الصحة العالمية لعام ١٩٨٠م أن أكثر من عشرة ملايين طفل قد لاقوا حتفهم نتيجة عدم إرضاعهم طبيعياً من أثداء أمهاتهم ؛كما اتهمت هيئة الصحة العالمية الشركات العالمية التي تصنع الألبان المجففة بالمساهمة في قتل الأطفال وخاصة في البلاد النامية.

(و) نمو الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم أسرع وأكمل من نمو أولئك الذين يرضعون صناعياً بالقارورة ، ومن هنا ندرك سراً من أسرار قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾(٣)وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ـ آنفاً ـ.

(ز) النمو النفسي: للأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم نمو سليم وسريع بينما أولئك الذين يلتقمون الرضاعة الصناعية بالقارورة تكثر بينهم العلل النفسية.

(ح) الارتباط النفسي والعاطفي بين الأم وطفلها أثناء الرضاعة من أهم العوامل لاستقرار الأم والطفل نفسيا.

(ط) وقاية الأم من أمراض الرحم وحمى النفاس ، وسرعة تماثل الرحم للشفاء وعودته لوضعه الطبيعي في وقت يسير.

٥ . **حضانته** [١]: الحضانة من الحقوق التي قررتها الشريعة الإسلامية للطفل ويُقصد بها ضم الطفل إلى أمه إلى سن البلوغ والبنت إلى سن التزويج ؛ ليكون عندها ؛ لأنها به أشفق وعليه أرفق و إلى تربيته أهدى ؛ ولا غرو فهي أقدر الناس على حضانة طفلها ؛ لما جُبلت عليه من مشاعر الحنان والشفقة والقدرة على التحمل والصبر[٢] مع القيام بحفظه ورعايته " في مبيته ومؤنة طعامه ولباسه ومضجعه وتنظيف جسمه"[٣]إلى ما غير ذلك مما يتعلق بتربيته وإصلاح جميع شأنه.

وأولى الناس بها الأم ؛ مالم تكن متزوجة بغير الأب ؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء ويزعم أبوه أن ينزعه مني فقال رسول الله ﷺ«أنت أحق به منه ما لم تنكحي» [٤].

وعَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: " خَاصَمَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ طَلَّقَهَا فَقَالَ: «هِيَ أَعْطَفُ، وَأَلْطَفُ، وَأَرْحَمُ، وَأَحْنَا، وَأَرْأَفُ، وَهِيَ أَحَقُّ بِوَلَدِهَا مَا لَمْ تَزَوَّجْ»[٥].وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: طَلَّقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ امْرَأَتَهُ

= (ي) وقاية الأم من احتمال الإصابة بسرطان الثدي ؛ فغير المتزوجات أكثر تعرضا من المتزوجات والمرضعات هن أقل الجميع تعرضا لهذا المرض.

(ك) تُعد الرضاعة من موانع الحمل ـ عند بعض النساء ـ والاسلام يقررها للمولود حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ؛ حفاظاً على صحته وبنيته الجسدية ؛ كما رغب في عدم وطء المرضع ؛ لأنه من الغيلة ، وإن كان قد أُبيح فيما بعد وطئها إلا أن ذلك بالكراهة أشبه .

خلق الإنسان بين الطب والقرآن ـ ص ٤٧٠ : ٤٧٣ ـ بتصرف.

١ـ الحضانة في اللغة مأخوذة من " الحِضْن: وهو مَا دون الإِبْطِ إِلَى الكَشْح، وَمِنْه الاحتضان ؛ كَمَا تَحْتَضن المرأةُ ولدَها "و"تضمه إلى جنبها ؛ ليكون عندها فتقوم بحفظه وإمساكه وغسل ثيابه" تهذيب اللغة ؛ للأزهري ٤ / ١٢٣ (حضن) ، ويراجع : بدائع الصنائع ٤ / ٤٠.

٢ـ يُراجع : بدائع الصنائع ؛ للكاساني ٤ /٤١، والإسلام وبناء المجتمع ص ٢٣٠.

٣ـ شرح حدود ابن عرفة ص: ٢٣٠.

٤ـ أخرجه الإمام أبو داود في سننه ـ كتاب : الطلاق ـ باب : " من أحق بالولد " ـ حديث رقم : ٢٢٧٦ ، و الإمام أحمد في مسنده ١١/ ٣١٠ ، ٣١١ ، وحسنه المحقق ، كما أورده الإمام ابن حجر الهيثمي في المجمع ، وقال : " رواه أحمد ورجاله ثقات" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤ / ٣٢٣ ـ تحقيق : حسام الدين القدسي (١٤١٤ هـ ـ١٩٩٤ م) ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ مصر.

٥ـ أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ؛ مرسلاً ٧ /١٥٤ـ حديث رقم :١٢٦٠٠.

الْأَنْصَارِيَّةَ أُمَّ ابْنِهِ عَاصِمٍ فَلَقِيهَا تَحْمِلُهُ بِمَحْسَرٍ وَلَقِيَهُ قَدْ فُطِمَ وَمَشَى، فَأَخَذَ بِيَدِهِ لِيَنْتَزِعَهُ مِنْهَا وَنَازَعَهَا إِيَّاهُ حَتَّى أَوْجَعَ الْغُلَامَ وَبَكَى، وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِابْنِي مِنْكِ فَاخْتَصَمَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَضَى لَهَا بِهِ، وَقَالَ: " رِيحُهَا وَحَرُّهَا وَفَرْشُهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ حَتَّى يَشِبَّ وَيَخْتَارَ لِنَفْسِهِ"(١).

وعن عِبد الله بن عمرو بن العاص: " أن النبي ﷺ قَضى أن المرأة أَحقُّ بولدها ما لم تَزَوَّجْ"(٢).

يلاحظ هنا عدة أمور ؛ منها :

١ . إذا افترق الزوجان وبينهما ولد فأولى الناس بحضانته أمه مالم تتزوج ؛ فإذا تزوجت سقط حقها فيها.

٢ . أن الإسلام أسند حضانة الطفل لأمه في هذه المرحلة وجعلها حقاً مقرراً له شرعاً ؛ حفاظا على حياته و حرصاً على تربيته وتنشئته في جو أسري اذ إنه في بداية حياته ويحتاج إلى قدر كبير من الرعاية والحنان والشعور بالأنس والطمأنينة ؛ لكي يكتمل نموه النفسي كما يحتاج إلى من يرعاه و يوفر له ضرورياته وحاجياته الحياتية و يدفع عنه كل ما من شأنه أن يهدد وجوده و يعمل على تربيته عقليا و روحيا وبدنيا ، ومن في هذه المرحلة أقدر على ذلك من أمه!!.

١ـ أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ٧ / ١٥٤ـ حديث رقم : ١٢٦٠١،" وَمَحْسَرٌ: سُوقٌ بَيْنَ قُبَا و الْحُدَيْبِيَةِ".

٢ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ٣ / ٣٨٠ ، ٣٨١ ـ حديث رقم : ٦٨٩٣، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ـ ٧ / ١٥٤ ـ حديث رقم : ١٢٦٠١

المبحث الثاني : البناء الروحي للشخصية السوية :

تمهيد :

يُقصد بالبناء الروحي العناية والاهتمام بالأمور المعنوية غير المحسوسة والتي تُدرك آثارها في الأقوال والسلوكيات والتصرفات التي تصدر عن الإنسان مشروع الشخصية السوية ، وتشمل عدة أمور ؛ منها : تربيته عقدياً على معاني العقيدة السليمة ، وعبادياً على أداء وممارسة العبادة الصحيحة ، وأخلاقياً على مكارم الأخلاق ، وثقافياً ؛ بتحصينه بالثقافة الإسلامية والعلوم النافعة إلى غير ذلك من الأمور التي تسهم في إعداد الشخصية السوية.

." فالدين الإسلامي عبارة عن الإيمان بالله . تعالى . وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر .. والمحافظة على العبادات المحددة وغير المحددة مع الإحسان التام والإخلاص الدقيق ، والمسلم إذا نفذ تعاليم دينه من عقيدة وعبادة .. بقي دينه محفوظاً قوياً .. وبذلك يعيش المسلم مع دينه في كل آن ومكان ، وقد تميزت عقيدة الإسلام وعبادته بجملة من المزايا جعلتها مقبولة عند الإنسان وسهلة"(١)وميسورة ؛ ومنها أنها فطرية.

"إن القرآن الكريم كتاب الدعوة ملئ بالأدلة السهلة الواضحة التي تؤكد فطرية العقيدة الإسلامية ؛ إذ تُبعد الإنسان عن متاهات الفلسفة والتراكيب المعقدة وتجعله يوجه عقله إلى النظر في نفسه وفي الكون من حوله ؛ مع لفت نظره إلى العناية الإلهية الكاملة واختراع القادر الحكيم "(٢)لأن ذلك يؤدي إلى الاقتناع واليقين بالدليل السهل الميسور الواضح.

---

١ ـ الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص ٣٥.

٢ ـ الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص ٣٧.

إن حسن التربية والإعداد ؛ من أهم حقوق الأولاد على الآباء ؛ ويستوجب ذلك قيامهم بتربية أولادهم تربية إسلامية نقية ؛ بهدف تكوين شخصية الطفل تكويناً سوياً متزناً ؛ لاسيما في هذا العصر الذي تكاثرت مشاكله، وتداخلت فيه الجهات التي تؤثر في هذه التربية ؛ كالإعلام والشارع والمدرسة، ويجب التركيز في عملية التربية على عدة أمور؛ منها :

أولاً . بناء الشخصية السوية عقائدياً :

١. مفهوم العقيدة لغةً واصطلاحاً :

أ . العقيدة في اللغة : تدور مادة عقد في اللغة حول عدة معان منها : اللزوم ، والتوكيد ، والاستيثاق ، والإبرام ، والإحكام ، ونحو ذلك[١]." والعَقيدة، اعتقاد وإيمان بحقيقة الدين"[٢].

"والعقيدة : الحكم الثابت الَّذِي لَا يقبل الشَّك فِيهِ لَدَى معتقده ، وفِي الجانب الدّيني : مَا يقْصد بِهِ الِاعْتِقَاد دون الْعَمَل كعقيدة وجود الله . سبحانه وتعالى . وَبَعثه الرُّسُل . عليهم السلام ."[٣].

ب . العقيدة اصطلاحاً : " ما انعقد عليه القلب واستمسك به وتعذر تحويله عنه من غير نظر إلى منشأ العقيدة ، وبلا فرق في ذلك بين ما كان راجعاً إلى تقليد أو ظن أو وهم أو دليل"[٤].

ج . تعريف العقيدة الإسلامية : هي : الإيمان الجازم الذي لا يقبل الاعتراض والمناقشة بالقضايا العلمية الغيبية التي أخبرتنا بها آيات القرآن الكريم وصحاح الأحاديث النبوية ، والمتمثلة في الإيمان بالله . سبحانه .

١ـ يُراجع : لسان العرب ، والقاموس المحيط ، وتاج العروس (مادة : عقد).
٢ـ المعجم الوسيط ٢ / ٦١٤.
٣ـ تكملة المعاجم العربية ٧ / ٢٥٩.
٤ـ نظرات في الثقافة الإسلامية ص٥٩.

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله ـ تعالى ـ[١].

٢ـ أهميتها في حياة المجتمع المسلم : للعقيدة مكانة كبرى ومنزلة عظمى في حياة الفرد والمجتمع ؛ حيث إن حاجة الناس للعقيدة الصحيحة التي جاءت بها الرسل أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن في فقدان الطعام والشراب هلاك البدن وفي ظل غياب العقيدة والإيمان هلاك للقلب والروح ، ولأنها كذلك تحرر العقل من الخرافة[٢]وتدل الإنسان على سبيل النجاة بالتعرف على ربه ـ سبحانه ـ وكذا التعرف على الغاية التي من أجلها خُلق ووجد على ظهر الأرض ، كما أنها تجيب الإنسان على القضايا الكبرى التي شغلت الناس كثيراً ، وكذا الأسئلة التي حيرت كثيراً من البشر ، ومنها : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا؟ ، فجاءت العقيدة الصحيحة بالإجابات الشافية الكافية المزيلة لكل ريب ، والكاشفة لكل شك عن تلك الأمور ، كما أنها حدثت الإنسان عن عالم الغيب وما يجب عليه نحو ذلك ، كل هذا وغيره يجعل لدى المجتمع المسلم وضوح رؤية وعلى بينة وبصيرة من أمره ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[٣]وقال ـ سبحانه ـ :﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ـ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٤].

٣ ـ تربية الشخصية السوية على أصول العقيدة السليمة :غرس العقيدة الصحيحة والصافية في نفس الطفل المسلم ؛ منذ نعومة أظفاره ؛ لهي أولى المهمات الملقاة على عاتق الآباء نحو أبنائهم ؛ فكان رسول الله ﷺ يهتم

١ـ يُراجع نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢٠٩، ويُراجع : نظرات في الثقافة الإسلامية ص ٥٩.
٢ـ يُراجع نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢١٢.
٣ـ سورة الأنفال الآية : ٤٢.
٤ـ سورة طه الآيتان : ١٢٣ ، ١٢٤.

بتربية أبناء المسلمين منذ الصغر على هذه المعاني ؛ ومن ذلك : موقفه ﷺ مع عبد الله ابن عباس . رضي الله عنهما . خير شاهد على ذلك ؛ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الدين ودرس كبير في العقيدة ينبغي أن يُربى عليها أبناء المسلمين ؛ قال الحافظ ابن رجب . رحمه الله . : " وَهَذَا الْحَدِيثُ يَتَضَمَّنُ وَصَايَا عَظِيمَةً وَقَوَاعِدَ كُلِّيَّةً مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ"[2].

هذا الحديث يخاطب كل مسلم سوي في شخص حبر الأمة عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . بجملة أمور منها [3]:

أ . أن يكون مطيعاً لربك مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه.

ب . أن يراقب ربه . تعالى . وأن يعمل بطاعته وأن لا يراه في مخالفته ؛ فإنه إن فعل وجده معه أينما حل وحيثما ارتحل وفي جميع شؤونه وشتى أموره ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4].

ج . الاستعانة بالله . سبحانه . وصدق اللجوء إليه والتوكل عليه ؛ فمن سأله أعطاه ومن استعان به هداه ومن توكل عليه كفاه .

١ـ أخرجه الإمام أحمد ؛ مسند أحمد ط الرسالة ٤ / ٤٠٩ ، ٤١٠ ـ حديث رقم : ٢٦٦٩،والإمام الترمذي في سننه ، واللفظ له ـ كتاب صفة القيامة ـ باب حديث حنظلة ـ حديث رقم : ٢٥١٦ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ".

٢ ـ جامع العلوم والحكم ـ تحقيق الشيخ : شعيب الأرنؤوط ١ / ٤٦٢.

٣ ـ سورة الحديد ؛ الآية : ٤.

٤ ـ يُراجع : شرح الأربعين النووية ؛ لابن دقيق العيد ص ٧٦.

هذا ؛وإن من التربية على معاني العقيدة الصحيحة ؛ تربية الطفل المسلم على الاعتقاد السليم الجازم بأن الرزق والأجل والنفع والضر بيد الله . تعالى . ؛ قال الله . سبحانه . :﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾([1])وقال . سبحانه . :﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾([2])وقال . سبحانه . : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾([3])وقال أيضاً:﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾([4])وقال أيضاً :﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾([5]).

وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلا فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»([6]).والمراد " بِالرُّوحِ الأَمِينِ وَبِرُوحِ الْقُدُسِ: جِبْرِيلَ عليه السلام وَمِنْهُ قَوْلُهُ . سُبْحَانَهُ . :﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾([7])"([8]).

---

١ ـ سورة الأنعام ، الآيتان : ١٧ ، ١٨.
٢ ـ سورة يونس ، الآية : ١٠٧.
٣ ـ سورة هود ، الآية : ٦.
٤ ـ سورة فاطر، الآيتان : ٢ ، ٣.
٥ ـ سورة العنكبوت ، الآية : ٦٠.
٦ ـ شرح السنة للبغوي ١٤ / ٣٠٤ ـ حديث رقم : ٤١١٢.
٧ ـ سورة البقرة ، الآية :٨٧.
٨ ـ شرح السنة للبغوي ١٤ / ٣٠٤ .

وعلى الدرب سار سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ومن هؤلاء : الشيخ : بنان الحمال الزاهد الواسطي شيخ الديار المصرية ؛ المتوفى سنة : ٣١٦هـ ؛ حيث قام يوماً بواجب النصيحة لأحمد بن طولون ؛ فغضب عليه ووضعه في الحبس وأدخل عليه أسداً؛ ضارياً ؛ مفترساً عقاباً له ؛ ـ وكان قد بلغ منه الجوع مبلغاً ـ فأقبل على الشيخ وطفق يحتك به ويلحظه ويشمه ؛ وسال في تلك الأثناء شيء من لعابه على الشيخ. هذا كله والشيخ ثابت الجنان ؛ ساكن الجوارح والأر كان ؛ مطمئن القلب والجنان ؛ مستغرقاً في تفكيره لا يبالي بما يحدث حوله ؛ ولما قُضي الموقف سأل ابن طولون الشيخ ؛ ما الذي كان في قلبك وفيم كنت تفكر ؛ فقال الشيخ : لم يكن علي بأس ؛ وإنما كنت أفكر في لعاب الأسد ؛ أهو طاهر أم نجس([١]).

وسلطان العلماء ؛ الإمام العز بن عبد السلام(ت : ٦٦٠هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فلقد وظف هذا العالم الجليل حياته كلها بما فيها من حركات وسكنات فيما يرضي الله ـ سبحانه ـ كما كان لعقيدته السليمة الصحيحة أكبر الأثر في تحركاته وسكناته كلها ؛ فلم تُرهبه قوة السلاطين والأمراء في عصره ، ولم تؤثر فيه سطوتهم ولا جبروتهم ولا الملأ العظيم الجاثي حولهم وطوع أمرهم ؛ بل الإيمان والخوف من الله ـ تعالى ـ كان هو الباعث له على كل تصرفاته ، ولقد كان أصحاب السلطان في عصره يفرقُون من وجوده على ملكهم ؛ ولذا " قال الملك الظاهر بيبرس وقد رأى كثرة الخلْق في جنازته حين مرَّت تحت القلعة: الآن قد استقر أمري في الملك، فلو أن هذا الشيخ دعا الناس إلى الخروج علي لانتزع مني المملكة!"([٢]).

---

١ ـ يراجع : وحي القلم ص ٧١٩ : ٧٢٥.
٢ ـ وحي القلم ؛ للرافعي ص ٧٢٨.

مواقف مشرفة وصارمة له مع ذوي الملك والسلطان في عصره ؛ ومنها : موقفه مع الصالح إسماعيل سلطان دمشق[١].وموقفه مع الملك نجم الدين أيوب ؛ سلطان مصر[٢].

وموقفه من الأمراء المماليك[٣].

وكلها مواقف مشرفة تدل على سلامة العقيدة التي تربى عليها تلك الأجيال من سلفنا الصالح والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ؛ كما تدل على أهمية ومكانة الدين عندهم وكيف كانوا يضحون في سبيل الدفاع عنه والذود عن حياضه . حسبةً لله تعالى ..

وفي صدر سورة القصص تأكيد لنا نحن المسلمين على: أن في الكون حقيقةً واحدةً وقوةً واحدةً أيضاً ؛ فالقوة الواحدة هي قوة الله . تعالى . والحقيقة

---

١ ـ " كان سلطانه في دمشق الصالح إسماعيل، فاستنجد بالإفرنج على الملك نجم الدين أيوب سلطان مصر؛ فغضب الشيخ وأسقط اسم الصالح من الخطبة وخرج مهاجرًا، فأتبعه الصالح بعض خواصه يتلطف به ويقول له: ما بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وأكثر مما كنت عليه إلا أن تتخشع للسلطان وتقبل يده. فقال له الشيخ: يا مسكين أنا لا أرضى أن يقبل السلطان يدي أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ" وحي القلم ؛ للرافعي ص ٧٢٨.

٢ ـ لقد " قدم الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى مصر في سنة ٦٣٩م ؛ فأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب وتحلى به وولاه خطابة مصر وقضاءها، وكان أيوب ملكاً شديد البأس، لا يجسر أحد أن يخاطبه إلا مجيبا، ولا يتكلم أحد بحضرته ابتداء ... فلما كان يوم العيد صعد إليه الشيخ وهو يعرض الجند ويظهر ملكه وسطوته والأمراء يقبلون الأرض بين يديه؛ فناداه الشيخ بأعلى صوته؛ ليسمع هذا الملأ العظيم: يا أيوب! ثم أمره بإبطال منكرٍ انتهى إلى علمه في حانة تباع فيها الخمر؛ فرسم السلطان لوقته بإبطال الحانة واعتذر إليه.

فحدثني الباجي قال: سألت الشيخ بعد رجوعه من القلعة وقد شاع الخبر، فقلت: يا سيدي، كيف كانت الحال؟

قال: يا بني، رأيته في تلك العظمة فخشيت على نفسه أن يدخلها الغرور فتبطره فكان ما باديته به.

قلت: أما خِفتَه؟

قال: يا بُني، استحضرت هيبة الله ـ تعالى ـ فكان السلطان أمامي كالقط "وحي القلم ؛ للرافعي ص ٧٢٨ ، ٧٢٩.

٣ ـ لقد " طغى الأمراء من المماليك وثقلت وطأتهم على الناس... وفكر الشيخ فهداه تفكيره إلى أن هؤلاء الأمراء مماليك، فحكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، ويجب شرعاً بيعهم كما يباع الرقيق!.

وبلغهم ذلك فجزعوا له وعظم فيه الخطب عليهم؛ ثم احتدم الأمراء وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع لا بإزاء القاضي ابن عبد السلام. وأفتى الشيخ أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة، وأنه لا يصحح لهم شيئاً من هذا حتى يُباعوا ويحصل عتقهم بطريق شرعي! .

وبذل الشيخ في سبيل ذلك جهوداً كبيرة ؛ بل وغالى في ثمنهم وتم له ما أرد ونادى عليهم " أمراء للبيع ". "وحي القلم ؛ للرافعي ص ٧٣٠.

الواحدة هي حقيقة الإيمان ؛ فمن آمن بهذه الحقيقة وأسند ظهره لتلك القوة فلن تستطيع قوة على ظهر الأرض قهره والانتصار عليه([1]) وصدق الله ؛ حيث يقول :﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾([2])﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾([3]).

كما أن من معاني تربية الشخصية السوية على العقيدة السليمة ؛ تربيتها على الثقة والأمل في نصر الله تعالى وتأييده ؛ ولا غرو فمن منهج أَهل السنة والجماعة أنهم :" لا يقنطون ولا ييأسون من رحمة الله عند المحن؛ لأَن الله . تعالى . قد حرم ذلك، ولكن يعيشون أَيام البلاء على أَمل الفرج القريب والنصر المؤكد ؛ لأَنَّهم يثقون بوعد الله، ويعلمون أَن مع العسر يسرا ، ولا يعتمدون في المحن ونُصْرَة الدِّين على الأَسباب الأَرضية والإِغراءات الدنيوية، والسنن الكوَنية، كما أَنَّهم لا يغفلون عنها، ويرون قبل ذلك . وبعده . أَن تقوى الله . تعالى . والاستغفار من الذنوب، والاعتماد على الله، والشكر في الرخاء؛ من الأَسباب المهمة في تعجيل الفرج بعد الشدَّة"([4]).قال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾([5])وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾([6]).

١ـ يُراجع : في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ٥ / ٢٦٧٣ ، ٢٦٧٤ ـ الطبعة السابعة عشرة : ١٤١٢هـ ـ دار الشروق - بيروت- القاهرة.
٢ ـ سورة الزمر؛ الآية : ٣٦.
٣ ـ سورة الطلاق ؛ الآية : ٣.
٤ ـ الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ؛ لعبد الله بن عبد الحميد الأثري ـ مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ـ ٢ / ١٩٣ ـ الطبعة: الأولى ـ ١٤٢٢هـ ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية.
٥ ـ سورة غافر؛ الآية :٥١.
٦ ـ سورة النور؛ الآية :٥٥.

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺيَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ » وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: " قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ "([1]).وعن النعمان بن بشير ؛ عن حذيفة .رضي الله عنهما . قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ» ثُمَّ سَكَتَ"([2]).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا

---

١ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ مسند أحمد ط الرسالة ٢٨ / ١٥٤، ١٥٥ـ حديث رقم:١٦٩٥٧، وقال المحقق : " إسناده صحيح على شرط مسلم".

٢ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون ـ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ ٣٠ / ٣٥٥ ـ حديث رقم : ١٨٤٠٦. ـ الطبعة: الأولى ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان .

الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا"(١).

وبعد ؛ فهذه صور ونماذج لأناس ملأ اليقين في الله نفوسهم وقلوبهم حتى وصلوا لهذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة من سلامة العقيدة وصحتها .

٣ . تربية الشخصية السوية على حب الله تعالى وحب رسولهﷺ: من الأمور التي يجب على المعنيين بشأن التربية والتوجيه ؛ تربية الطفل على محبة سيدنا رسولﷺ وغرس هذه القيمة العظمى في نفسه منذ نعومة أظفاره حتى يشب عليها ؛ وسلا غرو؛ فقد أوجب الله محبته واتباعه ؛ فقال . سبحانه .:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾(٢).

وقال . تعالى . أيضاً : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٣).

كما حذر سبحانه من مخالفة أمره ﷺ فقال سبحانه : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »(٥).

---

١ ـ جزء من حديث ؛أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب : "يزفون "(الصافات : ٩٤) ـ حديث رقم : ٣٣٦٤.

٢ ـ سورة آل عمران الآيتان : ٣١ ،٣٢.

٣ ـ الحشر الآية : ٧.

٤ ـ سورة النور الآية : ٦٣.

٥ ـ أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ـ باب حلاوة الإيمان ـ كتاب موسوعة الكتب الستة ـ صحيح البخاري ـ ص ٣ـ حديث رقم : ١٦.

ولقد ضرب لنا الصحابة . رضوان الله عليهم أجمعين . أروع الأمثلة والنماذج في هذا الأمر ؛ ومن ذلك :

أ . الغلامان اللذان قتلا أبا جهل يوم بدر : وهما : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء ، وقيل : هما معاذ ومعوذ ابنا عفراء([١]).

ب . و" وُطيء أبو بكر الصديق بن أبي قحافة . رضي الله عنهما يوماً بعدما أسلم وضرب ضرباً شديداً ودنا منه عتبه بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله قالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت ، قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال : هذه أمك تسمع ! قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح ! قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم ، قال : فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو

---

١ ـ يُراجع : الروض الأنف ؛ للسهيلي في شرح السيرة النبوية لابن هشام ـ تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ـ ٥ / ٩٧ـ الطبعة: الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

آتي رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ "([١]).

جـ . ورُفع خبيب بن عدي رضي الله عنه على خشبة ونادى عليه القوم قائلين له :" أتحب أن محمد مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه"([٢]).

د . و" مَرّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأُحُدٍ فَلَمّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمّ فُلَانٍ هُوَ بِحَمْدِ اللهِ كَمَا تُحِبّينَ قَالَتْ أَرُونِيهِ حَتّى أَنْظُرَ إلَيْهِ قَالَ فَأُشِيرَ لَهَا إلَيْهِ حَتّى إذَا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَك جَلَلٌ تُرِيدُ صَغِيرَةً"([٣]).

وبعد ؛ فهذه صور ونماذج لحب الصحابة وسلفنا الصالح لرسول الله ﷺ وكيف أنه ملك عليهم أقطار نفوسهم ؛ فكان أحب إليهم من كل شيء في هذه الحياة.

٤ . تربيته على المسارعة([٤]) إلى تنفيذ أوامر الشرع الحنيف:

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ([٥])

---

١ ـ البداية والنهاية ؛ للإمام ابن كثير ـ تحقيق: علي شيري ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ ـ ١٩٨٨ م ٣/ ٣٩ ، ٤٠ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان.
٢ ـ البداية والنهاية ؛ لإمام ابن كثير ٤/ ٧٦.
٣ ـ الروض الأنف ٦ / ٢٩، ويُراجع : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ لابن سيد الناس ـ تعليق: إبراهيم محمد رمضان ـ ٢ / ٣٣ ـ الطبعة: الأولى: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ـ دار القلم – بيروت ـ لبنان .
٤ ـ المسارعة ؛ أي المبادرة ؛ مأخوذة من الفعل الثلاثي (س ر ع) يقال : سارعَ إلى كذا ، وسارعَ في الأمر يسارع، مُسارَعَةً وسِراعًا، فهو مُسارِع، والمفعول مُسارَعٌ إليه ، وسارعَ إلى الأمر وفيه : أسرع إليه؛ بادَر وعجِل إليه، سابَق . يُراجع : معجم اللغة العربية المعاصرة ٢ / ١٠٥٨.
٥ ـ سورة الأنفال ؛ الآية : ٢٤.

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾([١]).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "([٢]).

ومن ذلك أن الصحابة . رضوان الله عليهم أجمعين . لما بلغهم خبر تحريم الخمر ، وكانوا يحبونها حباً جماً ويخزنونها فلما نزل النهي عنها وكانوا في مجلس شرب . آنذاك ." فعن بريدة عن أبيه قال : بينما نحن قعود على شراب لنا (ونحن على رَمْلة، ونحن ثلاثة أو أربعة، وعندنا باطية)([٣]) لنا ، ونحن نشرب الخمر حلاً إذ قمت حتى آتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ – إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾. قال : وبعض القوم شربته في يده شرب بعضاً وبقي بعض في الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ، ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا : انتهينا ربنا ؛ انتهينا ربنا"([٤]).

---

١ ـ سورة النور ؛ الآية : ٥١،٥٢.

٢ ـ أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب : الإيمان ـ باب : "حلاوة الإيمان" ـ حديث رقم : ١٦، والإمام مسلم ـ كتاب : الإيمان ـ باب : " بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان " ـ حديث رقم : ٦٧.

٣ ـ الباطية إناء :" مِنَ الزُّجَاجِ عَظِيمَةٌ تُمْلأُ مِنَ الشَّرَابِ وَتُوضَعُ بَيْنَ الشَّرْبِ يَغْرِفُونَ مِنْهَا ويَشرَبون، إِذَا وُضِعَ فِيهَا الْقَدَحُ سَحَّتْ بِهِ ورَقَصَتْ مِنْ عِظَمِها وَكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرَابِ" لسان العرب ١٤ / ٧٤ .

٤ ـ أخرجه الإمام ابن جرير بسنده ؛ جامع البيان في تأويل القرآن ؛ للطبري ـ تحقيق العلامة الشيخ / أحمد محمد شاكر ـ ١٠ / ٥٧٢.

وتجدر الإشارة إلى أن التحريم بهذه الصيغة أشد من التحريم بصيغة حرمت عليكم ؛ ولذا " لَمَّا عَلِمَ عُمَرُ رضي الله عنه أَنَّ هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ زَائِدٌ عَلَى مَعْنَى انْتَهُوا قَالَ: انْتَهَيْنَا؛ وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُنَادِيَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَكُسِرَتِ الدِّنَانُ، وَأُرِيقَتِ الْخَمْرُ حَتَّى جَرَتْ في سكك المدينة"([1]).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال : " كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي: «أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ "([2]).

وقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء بهذا الذي رأوه من الصحابة . رضوان الله عليهم أجمعين . قال عبد الله بن مسعود الثقفي لأصحابه بعدما رجع من الحديبية : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، على كسرى وقيصر والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضُوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدُّون إليه النظر تعظيماً له([3]).

وبعد فهذه صور ونماذج من مسارعة الصحابة إلى تنفيذ أوامر الله ورسوله حين صدورها فلم يسعهم إلا الإقبال عليها بكل رضاً وتسليم مبتهلين إلى الله . تعالى . ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾([4]).

---

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ٦ / ٢٩٢.

٢ ـ جزء من حديث ؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب المظالم ـ باب : " صب الخمر في الطريق " ـ حديث رقم ٢٤٦٤ ، والإمام مسلم ـ كتاب المظالم ـ باب تحريم الخمر ... " ـ حديث رقم : ١٩٨٠.

٣ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ؛ للإمام ابن القيم ٣ / ١٢٥.

٤ ـ سورة البقرة الآية : ٢٨٥.

ثانياً : بناء الشخصية السوية عبادياً :

١ . مفهوم العبادة لغة واصطلاحاً :

أ . العبادة في اللغة : العبادة في اللغة مأخوذة من " عَبَدَ اللَّهَ يَعْبُدُه عِبادَةً ، والتَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ "[1]و"أصل العُبودِيَّةِ الخضوعُ والذلُّ. والتعبيدُ: التذليلُ يقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ"[2]"والعبادة : الطاعة"[3].

ب . العبادة اصطلاحاً : العبادة في الإسلام : اسم جامع وشامل لكل ما يتقرب به المسلم شرعاً لربه . سبحانه وتعالى . يتضح ذلك من خلال تعريف شيخ الإسلام ابن تيميه . رحمة الله عليه . لها ؛ قال : " الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله . تعالى . ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة؛ فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَالْجِهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة، وَكَذَلِكَ حب الله . سبحانه . وحب رَسُوله ﷺ وخشية الله . عز وجل . والإنابة إِلَيْهِ وإخلاص الدَّين لَهُ وَالصَّبْر لحكمه وَالشُّكْر لنعمه وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ والتوكل عَلَيْهِ والرجاء لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْف من عَذَابه وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله . تعالى . "[4].

٢ . أهمية العبادة في حياة المجتمع المسلم : العبادة تجعل المسلم في حالة اتصال دائم بربه . سبحانه وتعالى . من خلال أداء الفرائض والتقرب إلى الله . عز وجل . بالنوافل والقربات ، سواء أكانت العبادة من عمل القلب

---

١ ـ لسان العرب ، لابن منظور ٣/ ٢٧٢.
٢ ـ الصحاح ، للجوهري ٢/ ٥٠٣.
٣ ـ مجمل اللغة ، لابن فارس ص: ٦٤٢.
٤ ـ العبودية ، للإمام ابن تيميه ص: ٤٤.

أم من عمل الجوارح ؛ فالعبادة في الإسلام ليست محصورة في العبادات المفروضة فقط وإنما هي شاملة لكل حركة وسكنة يقوم بها المسلم في حياته ، وهذه مزية لأهل الإسلام فقط ؛ قال الله . تعالى . خطاباً لسيدنا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَبِكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ يَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ وَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ»(٢).

ولكن كيف يحول المسلم العادات إلى عبادات ؟. الأمر يسير ؛ فالمسلم يستطيع تحويل العادة إلى طاعة وعبادة بأمرين : بأن يصاحب العمل نية صالحة ينوي بها المسلم التقرب إلى ربه . سبحانه . والآخر : بأن يكون هذا العمل مشروعاً ؛ قال الله . عز وجل . : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٣).

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب . رضي الله عنه . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ

---

١ ـ سورة الأنعام الآيتان : ١٦٢ ، ١٦٣.

٢ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٥ / ٣٧٦ ـ حديث رقم : وقال المحقق : "حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح".

٣ ـ سورة الكهف الآية : ١١٠.

وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»([١]).

فالأعمال معتبرة وصحيحة ومقبولة بالنية ، وبالنيات يستطيع المسلم تحويل العادة إلى عبادة ومن صور العادات التي تصبح عبادات بالنية : الطعام والشراب بنية التقوي على طاعة الله . تعالى . وأخذ قسط من الراحة بالنوم ونحوه ليتقوى بذلك على طاعة الله . سبحانه . والتزاور للأهل والأحباب ، الالتزام بحقوق الجيران ، والالتزام بحقوق الأخوة الإسلامية بين المسلمين ، والقيام بكل ما من شأنه أن يدخل في باب التعاون على البر والتقوى ، و الجد والاجتهاد والتفوق الدراسي والعلمي والوظيفي في شتى المجالات ، وحسن العشرة مع الزوجة وتربية الأولاد والقيام بالنفقة عليهم وملاطفتهم والرفق بهم والشفقة عليهم ، والالتزام بذكر الله . تعالى . في الصباح والمساء وأذكار الأحوال المختلفة.

٣ . **تربيته على الالتزام بأداء العبادات الصحيحة** : من الوسائل المعينة على ذلك : المواظبة على أداء الصلوات الخمس في جماعة والاهتمام بالمساجد وعمارتها ، وحضور حلق الذكر ؛ وتعلق قلب المسلم ذي الشخصية السوية بالمساجد وقد وردت في الشأن آيات قرآنية وأحاديث نبوية ؛ فعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال: « سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة

---

١ ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب : " ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة " ـ ١/ ٢٠ ـ حديث رقم : ٥٤.

ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»([1]).

وعنه . أيضاً . أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»([2]).

المحافظة على الوضوء ودوام الطهارة ؛ فعن ثَوْبَانَ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»([3]).

وعنه . أيضاً . أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول: ذلك يبقي من درنه. قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا»([4]).

وقال الله . تعالى . : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ؛ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾([5]).

وقال الله . تعالى . : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ

---

١ ـ أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب : الأذان ـ باب : " من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد " ـ حديث رقم : ٦٦٠، والإمام مسلم ـ كتاب : الزكاة ـ باب : " فضل إخفاء الصدقة " حديث رقم : ١٠٣١.

٢ ـ أخرجه الإمام مسلم ـ كتاب : الطهارة ـ باب : " فضل إسباغ الوضوء على المكاره " ـ حديث رقم : ٢٥١.

٣ ـ أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه ـ صحيح ابن حبان ـ مخرجا ٣ / ٣١١ ـ حديث رقم : ١٠٣٧.

٤ ـ أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب : مواقيت الصلاة ـ باب : " الصلوات الخمس كفارة " ـ حديث رقم : ٥٢٨ .

٥ ـ سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٨.

. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١).

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢).

هذا ؛ وإن " إن مما يقع على كاهل الآباء والأمهات في المقام الأول ؛ هو القيام بتعليم وتدريب أبنائهم ـ منذ سن مبكرة ؛ هي سن التمييز ـ على بعض الأركان الأساسية في الدين وذلك بتعليمه الصلاة والقرآن الكريم وطرفاً من سنة نبينا محمد ﷺ وآداب الإسلام الشخصية والاجتماعية"؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»(٣).

هذا؛ وإن للعبادات في الإسلام ثمرةً عظمى ومكانةً كبرى ؛ ألا وهي تحسين خلق من يواظبون عليها ويؤدونها على وجهها الصحيح ؛ فالصلاة والزكاة والصوم والحج ، هذه الفرائض جميعها تثمر في نفس المسلم مكارم الأخلاق ، وجميل الصفات ومحاسن العادات ؛ ففي شأن الصلاة : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ : « إِنِّي لا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ إلاَّ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَسْتَطِلْ

---

١ ـ سورة النور ؛ الآيات : ٣٦ ـ ٣٨.

٢ ـ سورة التوبة ؛ الآية : ١٨.

٣ ـ أخرجه الإمام أبو داود في كتاب : الصلاة ـ باب : "متى يؤمر الصبي بالصلاة" ـ حديث رقم : ٤٩٥.

٤ ـ سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤٥.

عَلَى خَلْقِي وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ، وَابن السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ وَرَحِمَ الْمُصَابَ ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِي وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِي وَأَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ»(١).

وفي شأن الزكاة قال سبحانه : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

ولذا ؛ فالزكاة تحقق للغني حسن الخلق مع التخلص من أمراض الشح والبخل والأثرة ؛ كما أنها تسهم في سد حاجة الفقير ونشر الفضيلة والتراحم في المجتمع المسلم ؛ حيث إن الغني يشعر بحاجة أخيه الفقير ويسعى في قضائها ويلبي احتياجاته ويوفر له الأمور التي لا غناء له عنها من المطعم والمشرب والملبس والدواء وقبل ذلك توفير المسكن المناسب له؛ فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(٤).

وفي شأن الصوم : قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٥). فالتحقق بالتقوى ومراقبة الله ـ سبحانه ـ هو غاية الصيام في الإسلام.

---

١ ـ أخرجه الإمام البزار في مسنده ١١ / ١٠٥ ـ حديث رقم : ٤٨٢٣.
٢ ـ سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٣.
٣ ـ سورة التوبة ؛ الآية : ٦٠.
٤ ـ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ؛ كتاب : الأدب ـ باب : " تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم "ـ موسوعة الحديث الشريف ؛ الكتب الستة ـ صحيح مسلم ص ١١٣٠ ـ حديث رقم : ٢٥٨٦.
٥ ـ سورة البقرة ؛ الآية : ١٠٣.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "([1])

وفي شأن الحج : قال الله تعالى . : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾([2]).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»([3]).

وهكذا فالغاية الكبرى من وراء أداء المسلم لهذه العبادات هي تحسين أخلاقه.

كما لا يخفى أن من هذه العبادات ما يتكرر في اليوم خمس مرات ، ومنها ما يتكرر كل عام ، ومنها ما يفرض مرةً واحدة في العمر .

كما أنها تربي المسلم على السمع والطاعة والمراقبة لله . سبحانه . وكذا على الجاهزية وسرعة التلبية .

ثالثاً : بناء الشخصية السوية أخلاقياً :

١ . مفهوم الأخلاق : الخلق في اللغة :" الخُلُقُ . بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا . : هُوَ الدِّين والطبْع وَالسَّجِيَّةُ، وَحَقِيقَتُهُ أَنه لِصورة الإنسان الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نفْسه وأَوصافها وَمَعَانِيهَا المختصةُ بِها بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وأَوصافها وَمَعَانِيهَا "([4]).

---

١ ـ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب : الصيام ـ باب :" فضل الصوم " موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة ـ صحيح مسلم ـ ص ٨٦٢ ـ حديث رقم : ١١٥١.

٢ ـ سورة البقرة ؛ الآية : ١٩٧.

٣ ـ أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب : الحج ـ باب : " فضل الحج المبرور" ـ موسوعة الحديث الشريف ؛الكتب الستة ـ صحيح البخاري ص ١٢٠ ـ حديث رقم : ١٥٢١.

٤ ـ لسان العرب ، لابن منظور ١٠/ ٨٦ ، ٨٧ ـ (مادة : خلق).

والخلق اصطلاحاً هو : " قوة راسخة للنفس ، تنزع بها بسهولة ودون تكلف إلى اختيار الخير أو الشر ، بضابط الشرع الحنيف والفطرة السليمة ، وتظهر آثارها في الأقوال والأفعال والأحوال"([1]).

٢ . **أهميتها في حياة المجتمع المسلم** : للأخلاق مكانة عظمى وأهمية كبرى في حياة الأمم والشعوب بعامة وفي حياة المجتمع المسلم بخاصة ؛ فبقدر ما يتحلى أبناء المجتمع أفراداً وجماعات بمكارم الأخلاق وجميل الصفات ومحاسن العادات ؛ بقدر ما تبقى أمتهم قوية ومعمرة ما دامت متمسكةً بذلك ، وأما إذا تدهورت الأخلاق وضعفت أو فسدت كان هذا نذير شؤم على تلك الأمة وذلك المجتمع ولا غرو" فالأخلاق ركيزة أساسية في بناء الحضارة لما تثمره في الفرد من الإيجابية والعطاء ، وحسن التعامل مع الآخرين ومنع الإيذاء لهم ، إضافة لما تعكسه الأخلاق على المجتمع من الرقي في العلاقات والفاعلية في الإنجازات"([2]).

إن المجتمع الذي تسوده الأخلاق الحميده يعيش حياة سعيدة وأزمنة مديدة ينعم فيها أبناؤه بالأمن والاستقرار ، بعكس المجتمعات الأخرى التي تعيش بعيداً عن وحي السماء وهدايات الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . وفي هذا الشأن يقول الله . تعالى . : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾([3]).

وتجدر الإشارة إلى أنه يشترط للنجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة أن يكون الإنسان مصلحاً، والمصلح هو من يكمل نفسه بامتثال الأمر والبعد عن التلبث بفعل منهي عنه ؛ فإذا غفل ذكره غيره من أهل الصلاح ، كما

---

١ ـ الثقافة الإسلامية ـ د. سعيد بن ناصر الغامدي وآخرون ـ ص ١٦ ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م ـ دار حافظ ـ جده المملكة العربية السعودية.

٢ ـ الثقافة الإسلامية ـ د. سعيد بن ناصر الغامدي وآخرون ـ ص ١٩.

٣ ـ سورة هود الآية : ١١٧.

أنه يدعو غيره وينصحه ويذكره إذا غفل ، وباختصار هو من يطبق ما ورد في سورة العصر من شروط للنجاة ومنها : التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(1)." أَيْ أَمَرْنَاهُمْ بِمَا نَأْمُرُهُمْ بِهِ، أَيْ بَعَثْنَا إِلَيْهِمُ الرَّسُولَ وَأَمَرْنَاهُمْ بِمَا نَأْمُرُهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِمْ فَعَصَوُا الرَّسُولَ وَفَسَقُوا فِي قَرْيَتِهِمْ"(2).

وتجدر الإشارة إلى أن في "هَذِهِ الْآيَةُ تَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَتَعْلِيمٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَالْمَعْنَى أَنَّ بَعْثَةَ الرَّسُولِ تَتَضَمَّنُ أَمْرًا بِشَرْعٍ وَأَنَّ سَبَبَ إِهْلَاكِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولُ هُوَ عَدَمُ امْتِثَالِهِمْ لِمَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ ذَلِكَ الرَّسُولِ"(3).

كما أن في قوله تعالى : "أَمَرْنَا" ثلاثة أوجه : أنها من الأمر ، أو أنها من الكثرة ، أو أنها من الإمارة ، ويتوجه المعنى فيها على النحو التالي :

أ . أَمَرْنَا : أي : أمرناهم بالطاعة ففسقوا ، أي: خرجوا عنها عاصين لأمر الله . سبحانه ..

ب . أَمَرْنَا : أي : جعلناهم أمراء ، أصحاب الأمر والنهي في رعاياهم فعملوا فيهم بما يخالف شرع الله . تعالى . وأفسدوا في الأرض فحق عليهم القول فدمرهم الله . عز وجل . تدميرا.

---

١ ـ سورة الإسراء الآية : ١٦.
٢ ـ التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ١٥/ ٥٣.
٣ ـ التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ١٥/ ٥٣.

ج . أَمَرْنَا : أي : جعلنا الفسقة كثرة في المجتمع ، فحق عليهم القول بسبب فسقهم وتمردهم على شرع الله . سبحانه . فدمرهم . عز وجل . تدميرا([1]).

قال الزمخشري . رحمه الله . : إن الله . تعالى . أنعم عليهم بالنعم "وخولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبرّ، كما خلقهم أصحاء أقوياء، وأقدرهم على الخير والشرّ، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمّرهم"([2]).

٣ . وجوب تحلي صاحب الشخصية السوية بمكارم الأخلاق : ولا ننسى ونحن في هذا المقام أن الله . عز وجل . مدح سيدنا محمداً ﷺ بحسن خلقه ؛ فقال . سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾([3])وأن رسول الله ﷺ قد أكد على هذا الأمر ؛ فعَن أَبِي هُرَيرة، عَن النَّبِيّ ﷺ قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"([4]).

إنه لمن الواجب على الآباء والمربين أن يهتموا بتنشئة الأطفال على مكارم الأخلاق وجميل الصفات ومحاسن العادات ، والأبوان هما القدوة العملية لأبنائهم ولهما مكانة عظمى ومنزلةً كبرى لدي أولادهم ؛ ولا غرو فهما القدوة لأولادهم في كل ما يفعلون ، والباعث على ذلك هو حب الأبناء لوالديهم ؛ خاصةً في مرحلة الطفولة ؛ فهم أكثر تأثراً بالقدوة ؛ حيث يعتقد الطفل في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح ، وأن آباءهم أكمل الناس وأفضلهم ؛ لهذا فهم يُقلدونهم ويقتدون بهم ؛ ولذا فالقدوة تُعتبر من

---

١ ـ يُراجع : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٤ ، ومعالم التنزيل والتأويل ، للبغوي ص ٧٣٨.
٢ ـ الكشاف ، للزمخشري ٢ / ٦٥٤.
٣ ـ سورة القلم الآية : ٤.
٤ ـ أخرجه الإمام البزار في مسنده ـ ١٥/ ٣٦٤ ـ حديث رقم : ٨٩٤٩ ، وصحيح الأدب المفرد لإمام البخاري ـ تحقيق العلامة الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ ، ورمز له بالصحة.

أهم وسائل التربية إن لم تكن أهمها على الإطلاق ؛ وذلك نظراً لوجود الغريزة الفطرية الملحة التي تدعو الإنسان إلى التقليد والمحاكاة .

ويبدأ التقليد عند الأطفال منذ السنة الثانية تقريباً ، ويبلغ غايته في سن الخامسة والسادسة ، ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة. إن الآباء هم القدوة الحسنة لأولادهم في أقوالهم وأفعالهم المختلفة، فالقدوة الحسنة لها أثر كبير في تربية الطفل، لأنه مولع بالتقليد والمحاكاة لوالديه ([١]) كما ينبغي أن تقوم التربية على التفاهم والتشاور والتخطيط بين الأبوين ؛ بحيث لا يهدم أحدهما ما يبنيه الآخر[٢].

هذا والأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر مما نظن بهم ؛ ومن هنا كان تعويدهم على فعل الخير بالقدوة الصالحة في أول الأمر ؛ هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية([٣]).

ولقد حرص سلفنا الصالح . رضوان الله عليهم أجمعين . بيان أهمية وجود القدوة في حياة المسلمين أفراداً وجماعات منذ نعومة أظفارهم ؛ فحرصوا على تربية أبناء الإسلام تربية عملية ؛ فالطفل يسمع بعينيه ؛ ومهما يكن من أمر فلابد من مطابقة القول للفعل وإلا كان الآباء والمربون في واد وأولادهم في واد آخر.

" وبهذا يظهر جلياً لكل ذي عينين : أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون وجود القدوة الصالحة ؛ التي تمتثل الأوامر ، وتستجيب لها ، وتنزجر عن النواهي ، وتمتنع عنها "([٤]).

---

١ ـ يُراجع : مسؤولية المسلم الأب في تربية الولد في مرحلة الطفولة ص ٦٥ .
٢- يُراجع : الإسلام وبناء المجتمع ص ٢٣١ ، ٢٣٢.
٣ ـ يُراجع : مسؤولية المسلم الأب في تربية الولد في مرحلة الطفولة ص ٦٦ .
٤ ـ مسؤولية المسلم الأب في تربية الولد في مرحلة الطفولة ص ٦٨ .

و ينبغي للآباء والمربين أن يركزوا في التربية الخُلُقية لأبنائهم على جملة من مكارم الأخلاق ؛ ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر :

أ . الإخلاص لله . سبحانه . والتجرد من الهوى: إن هاتين الصفتين من الأمور المهمة في بناء الشخصية السوية ؛ فلكل منهما مكانة عظيمة في حياة المسلم ؛ ولو اتصف بهما كل فرد من أفراد المجتمع المسلم؛ لكان أسعد مجتمع على وجه الأرض ؛ وفي هذا يقول الله . تعالى . : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾([1])وقال سبحانه :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾([2]).

وعن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»([3]). ولأهمية هذا الأمر في حياة المسلم ؛ صدر الأئمة الأعلام ؛ شُراح السنة كتبهم بهذا الحديث الشريف .

وقد "اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى صِحَّتِهِ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ، وَبِهِ صَدَّرَ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ " الصَّحِيحَ " وَأَقَامَهُ مَقَامَ الْخُطْبَةِ لَهُ، إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ لَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: لَوْ صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي الْأَبْوَابِ، لَجَعَلْتُ حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ بَابٍ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ كِتَابًا، فَلْيَبْدَأْ بِحَدِيثِ " «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ". وَهَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ

---

١ ـ سورة الكهف ؛ الآية : ١١٠.

٢ ـ سورة البينة ؛ الآية رقم : ٥.

٣ ـ أخرجه البخاري ـ كتاب : " بدء الوحي ـ باب : " كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ حديث رقم : ١ .

الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، فَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ ثُلُثُ الْعِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ. وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ: أُصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ عُمَرَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَحَدِيثُ عَائِشَةَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وَحَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ.» وَقَالَ الْحَاكِمُ: حَدَّثُونَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَقَوْلَهُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،» وَقَوْلَهُ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُبْدَأَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي كُلِّ تَصْنِيفٍ، فَإِنَّهَا أُصُولُ الْأَحَادِيثِ" ([1]).

هذا ؛ ولما يواظب العبد على الإخلاص ؛ يجعله الله مخلصاً . بفتح اللام . ؛ قال الله . تعالى . في حق نبيه يوسف . عليه السلام . : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾([2]).

كما أن الإخلاص من أسباب تفريج الهموم وتنفيس الكربات ؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا،

---

١ ـ جامع العلوم والحكم ١ / ٦٠ ، ٦١.

٢ ـ سورة يوسف ؛ الآية : ٢٤.

وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ. وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلاَ تَفْتَحِ الخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا. فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ »([1]).

هذا ؛ وإن التجرد من الهوى من صفة أولي العزم من الرجال ؛ وقد ورد النهي عن اتباع الهوى في كثير من آيات القرآن الكريم وكذا نصت عليه سنة سيدنا رسول الله ﷺ قال الله ـ تعالى ـ مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَأَنِ

---

١ ـ أخرجه البخاري ـ كتاب : الأدب ـ باب : " إجابة دعاء من بر والديه " ـ حديث رقم : ٥٩٧٤ ، وأخرجه مسلم ـ كتاب : الرقاق ـ باب : " قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال " ـ حديث رقم : ٢٧٤٣.

احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾(١)وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣). وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٥).

وقال الله ـ تعالى ـ مخاطباً عبده ونبيه داود ـ عليه السلام ـ : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(٦).

هذا ؛ ومن معاني مخالفة الهوى ؛ مجاهدة النفس وحبسها على طاعة الله ـ سبحانه ـ في كل أمر لا يتماشى مع هواها ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٧).

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ قوله تعالى : " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا " قيل: لنوقفنهم لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمَةُ هِيَ الَّتِي يُوصَلُ بِهَا إِلَى رِضَا اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَقِيلَ: الْمُجَاهَدَةُ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَاتِ. قَالَ

١ ـ سورة المائدة : الآيتان :٤٨ ،٤٩.
٢ ـ سورة الجاثية ؛ الآية : ١٨.
٣ ـ سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٣.
٤ ـ سورة الفرقان ؛ الآية : ٤٣.
٥ ـ سورة القصص ؛ الآية : ٥٠.
٦ ـ سورة ص ؛ الآية : ٢٦.
٧ ـ سورة العنكبوت ؛ الآية : ٦٩.

الْحَسَنُ: أَفْضَلُ الْجِهَادِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى. وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْعَمَلِ بِهِ. وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ السُّنَّةِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْجَنَّةِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَاعَتِنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ ثَوَابِنَا. " وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ فِي دُنْيَاهُمْ وَبِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ فِي عُقْبَاهُمْ "([١]).

ب . القوة والأمانة : من الأخلاق الضرورية والمهمة في بناء الشخصية المسلمة السوية ؛ القوة والأمانة ، وقد أشارت إلى أهميتهما ومكانتهما آيات من القرآن الكريم ؛ كما أشارت إليهما أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ ؛ ويصور لنا القرآن الكريم موقف الجني في قصة سليمان عليه السلام بشأن عرش بلقيس ؛ لما طلب نبي الله عليه السلام منهم أن يأتيه أحد الحضور به ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ ([٢]).

وقال . تعالى . على لسان ابنة الشيخ الصالح شعيب . عليه السلام . لأبيها في شأن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِين﴾([٣]).

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد " تلازم بين صفتي القوة والأمانة ... وتعني هنا : القدرة والإرادة المنتجة للكفاءة والمهارة ، وهي قدرة العامل على العمل ، وكفاءته في أداء المهمة الموكلة إليه ، ومهاراته العملية في حقل المسؤولية المناطة به .

والأمانة هنا تعني : الحفاظ على ما عهد به إليه ورعايته ، والحذر من الإخلال والتقصير والتفريط فيه ، وصدق الالتزام بالمبادئ ، وخاصة في

١ ـ معالم التنزيل والتأويل ؛ للبغوي ص ١٠٠١ ، ويُراجع : مفاتيح الغيب ؛ الرازي ٢٣ / ٣٧ ، ٣٨.
٢ ـ سورة النمل ، الآيتان : ٣٨ ،٣٩.
٣ ـ سورة القصص ، الآية : ٢٦.

حقل العمل الذي يقوم به ، وأخلاق المؤسسة التي يعمل فيها ، وسلوكيات المهنة التي ينتمي إليها "([١]).

هذا ؛ ومن خلال ما سبق ؛ فقد وضحت الآيات الكريمة . آنفة الذكر . أن من صفات صاحب الشخصية السوية :

أنه يعرف الحقوق والواجبات ويحفظها ويؤديها على الوجه الأكمل.

أنه ينسب الفضل لأهله.

أنه عادل مع نفسه ومع الآخرين .

أنه بالعلم ؛ يدفع الجهل عن نفسه ؛ و بالحفظ ؛ يمنع من تسرب الإهمال إليها في حق النفس أو الغير ، وبخلق القوة يقاوم الوهن الشخصي والإهمال الاجتماعي ، و بالأمانة ؛ يراعي حق الله ، وحق النفس ، وحقوق الآخرين([٢]).

ج . الوسطية والاعتدال والتوازن :

١ . يجب على الآباء أن يتجنبوا التدليل المفسد والقسوة المفرطة والتفرقة في المعاملة بين الأبناء عموماً ؛ كما يجب أن تقوم عملية التربية على الرحمة والتعاطف والمحبة والحنان([٣]) فعن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»([٤]).

---

١ ـ يُراجع : الثقافة الإسلامية ، المستوى الرابع ص ١٥٧ ، ١٥٨.

٢ ـ يُراجع : الثقافة الإسلامية المستوى الرابع ص ١٥٤.

٣ـ يُراجع : الإسلام وبناء المجتمع ص ٢٣٢.

٤ـ أخرجه الإمام البخاري ـ كتاب : الأدب ـ باب : " رحمة الولد وتقبيله ومعانقته " ـ حديث رقم : ٥٩٩٧؛ والإمام مسلم في صحيحه ؛ كتاب : الفضائل ـ باب : رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ،وتواضعه ،وفضل ذلك " ـ حديث رقم : ٢٣١٨.

٢ . " أن تهدف إلى تكوين الشخصية المتوازنة والتي تجمع بين التمسك بمبادئ الدين الإسلامي ومقومات الحياة المعاصرة، فتكون شخصية متمسكة بدينها وهويتها ومنفتحة على العالم من حولها ؛ متماشية مع عصرها" [١].

إن الإسلام دين يدعو إلى الوسطية والاعتدال ؛ فشرع للروح كما شرع للجسد ؛ فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:" جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺيَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺفَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٢].

إن الإنسان مكون من روح وجسد ولكل غذاؤه ؛ فللروح غذاؤها المتمثل في اتباع الوحي المعصوم بشقيه ؛ القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة ، وفي الإيمان وأركانه ، وفي الإسلام وأركانه ، في قراءة القرآن والذكر والتسبيح والدعاء والاستغفار وحسن الخلق وفي كل ما من شأنه أن يغذي الروح ؛ لترتفع وترقى .

وفي الوقت نفسه جعل للجسد غذاءه من الطعام والشراب واتباع العادات الصحية التي تحفظ على الإنسان صحته وعافيته ؛ ومن هنا أباحت الشريعة الطيبات وحرمت الخبائث التي تضر بحياة الإنسان .

١- الإسلام وبناء المجتمع ص ٢٣٣ ، عن حقوق الأولاد على الوالدين في الإسلام ص ٣٥ وما بعدها.

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب : " الترغيب في النكاح " ـ حديث رقم : ٥٠٦٣ ، والإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب : النكاح ـ باب : " استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه " ـ حديث رقم : ١٤٠١ .

وخلاصة القول : أن الإسلام دين يمتاز عن غيره من النظم الوضعية بأنه دين التوازن والوسطية والاعتدال، ويهدف إلى تحقيق هذه الصفة في نفوس أتباعه .

د . العفة والنزاهة : ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة والنماذج في ذلك ؛ ومنها على سبيل المثال ؛ لا الحصر : ما ورد في قصة نبي الله يوسف . عليه السلام . وهو الشاب الغريب الذي توافرت له كل الأسباب الميسرة لارتكابه الفاحشة . حاشاه . ومع هذا ؛ فقد آثر مرضاة الله . سبحانه . على مرضاة غيره واختار السجن والحبس على ارتكاب ما حرم الله . سبحانه . ؛ وفي هذا يقول الله . تعالى . : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(١). وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢).

---

١ ـ سورة يوسف ؛ الآيات :٢٢ ـ ٢٩.

٢ ـ سورة يوسف ؛ الآيات :٣٣ ، ٣٤.

وكذلك ما ورد في قصة مريم . عليها السلام . التي ضرب الله بها المثل للعالمين في الطهر والعفاف ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾(١). وقال . تعالى . :﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آَيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٢).

رابعاً : بناء الشخصية السوية ثقافياً :

١ . مفهوم العلم وأهميته : ويقصد بالعلم هنا : " العلم الشرعي ؛ المتمثل في علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ، في العقيدة والعبادة والتشريع"(٣).

والعلم الشرعي مفهومه واسع وشامل ، وهو بذلك " يشمل جميع أنواع المعارف الإنسانية مهما يكن مصدرها ؛ سواء أكان العقل كالرياضيات والمنطق ، أم كان الحس والتجربة بالإضافة إلى العقل كالطب والكيمياء والفيزياء والفلك ، أم كان الذوق والعاطفة كالأدب والنقل ، أم السماع جيلاً بعد جيل كاللغة ، أم الوحي والنبوة والنقل عن مصدر الوحي لعلوم الدين من العقيدة والتفسير والحديث والفقه "(٤).

وخلاصة القول أن العلم الشرعي يشمل نوعين من العلوم هما(٥):

أ . العلوم النقلية ؛ أي : المستندة إلى الوحي.

ب . العلوم العقلية والتجريبية .

إذن ؛ فالعلم الشرعي يشمل كل : ما أمر به الشرع وجاء به .

كما يشمل : ما أذن فيه الله . سبحانه . وأباحه لأهل العلم من خلقه ؛ ليُعملوا عقولهم ؛ بما لا يتعارض مع نصت عليه شريعتنا الغراء.

---

١ ـ سورة التحريم ؛ الآية : ١٢.
٢ ـ سورة الأنبياء ؛ الآية : ٩١.
٣ ـ الكتاب العلمي لمؤتمر التربية الإسلامية ٢ / ٨٦٩.
٤ ـ الكتاب العلمي لمؤتمر التربية الإسلامية ٢ / ٨٧٠.
٥ ـ يُراجع : مجموع الفتاوى ـ لشيخ الإسلام ابن تيميه ٩ / ٢١ ، ٢٢.

ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن مصادر الإسلام تنقسم إلى قسمين : قسم يمثل الثبات ؛ ويشمل : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع والقياس.

والقسم الآخر يمثل المرونة والتطور ؛ ويشمل : الاستحسان ، والاستصحاب ، المصلحة المرسلة ، شرع من قبلنا ، العرف ، وقول الصحابي .

وقد وردت نصوص شرعية تفيد ذلك ؛ فعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَنَهَى عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَعَفَا عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ لَا عَنْ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»(١).

إن المسلم مطالب بتحصيل العلم النافع أينما وُجد وحيثما ارتحل ، ومن بركة العلم أن يجمع صاحبه بينه وبين العمل الصالح ؛ بل لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنه يجب اقتران العلم بالعمل الصالح ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ فاعلم أنه لا إله الا الله ﴾وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ – قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: بَعْدَكَ – قَالَ: " قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ »(٢)وبوب الإمام البخاري في صحيحه : " باب العلم قبل القول والعمل".

ولقد نعى القرآن على الذين تخالف أقوالهم أفعالهم ؛ فقال ـ سبحانه ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٣).

---

١ ـ جامع بيان العلم وفضله جامع بيان العلم وفضله ؛ لا بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) ـ تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ـ٢ / ١٠٤٥ ـ حديث رقم : ٢٠١٢ ـ الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م ـ دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٤ / ١٤١ـ حديث رقم : ١٥٤١٦، وقال المحقق : صحيح على شرط الشيخين.

٣ ـ سورة الصف الآيتان : ٢،٣.

٢ . أهميته في حياة المجتمع المسلم : للعلم مكانة كبرى ومنزلة عظمى لدى أمة الإسلام ؛ فالإسلام دين العلم ، وأول آية نزلت من القرآن الكريم كانت ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١).

وفضل الله . عز وجل . أبانا آدم . عليه السلام . على الملائكة بما آتاه . سبحانه من علم ، ونسب الله . تعالى . علم الكتاب لأولي العلم ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾(٢). وعليه تتوجه قراءة الوصل ، وجعل المولى تبارك وتعالى العلماء شهداء على وحدانيته . سبحانه . قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٣).ولما كذب المشركون رسول الله محمداً ﷺ استشهد الله تعالى على نبوته بعلماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(٤).

كما جعل النبي ﷺ طلب العلم فريضه ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(٥).

«وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ عَزَّ

---

١ ـ سورة العلق الآيات : من ١ : ٥.
٢ ـ سورة آل عمران الآية : ٧.
٣ ـ سورة آل عمران الآية : ١٨.
٤ ـ سورة الرعد الآية : ٤٣.
٥ ـ أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ١/ ٨١ ـ حديث رقم : ٢٢٢ ، وصححه العلامة الألباني.

وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»([1]). ، ونوه القرآن الكريم بأنه لا يستوي في الإسلام العالم والجاهل ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾([2]). فأهل العلم هم أرفع الناس قدراً وأعلاهم منزلة ؛ قال . عز من قائل : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ([3]).وأشدهم لله . تعالى . خشية ؛ قال الله . سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾([4]).

٣ . تحصين صاحب الشخصية السوية بالثقافة الإسلامية : من مظاهر اهتمام الإسلام بالطفل . مشروع الشخصية السوية . أن أوجد المؤسسات والمحاضن التربوية التي تقوم على تربيته وتوجيهه وإعداده على الوجه الأكمل ؛ ليكون لبنةً صالحةً في المجتمع ؛ وعلى رأس تلك المؤسسات : الأسرة ، والمسجد ، والتعليم ؛ بشتى مراحله ، والإعلام ؛ بشتى وسائله ، فإذا قامت كل مؤسسة بالمهمة المنوطة بها ، أصبح هذا الطفل في الغد القريب عضواً نافعاً وفاعلاً في المجتمع يؤتي أكله كل حين بإذن ربه . سبحانه . ويقدم لمجتمعه ما في وسعه وطاقته؛ لإسعاده .

وكما اهم الإسلام بالتربية البدنية والجسمية للطفل ؛ اهتم كذلك بالتربية العقلية والفكرية والثقافية ؛ تحصيناً لهويته الإسلامية من الإضرار بها أو التشويش عليها ، وجعل لها ملامح ؛ منها : الإيمان بالله . تعالى . وسعة الأفق وربط العلم النافع بالعمل الصالح والوسطية والتوازن والعدل والفضل والخيرية والنصح لله ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم مع الاعتزاز

---

١ ـ جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد مسنده ، عن أبي هريرة ١٢/ ٣٩٣ ـ حديث رقم : ٧٤٢٧ ، وقال المحقق : صحيح على شرط الشيخين.
٢ ـ سورة الزمر الآية : ٩.
٣ ـ سورة المجادلة الآية :١١.
٤ ـ سورة فاطر الآية : ٢٨.

والافتخار بهذه الهوية الإسلامية ؛ لأنها مصدر عزته وسعادته في الدنيا والآخرة ، وكذا التخلق بالأخلاق الإسلامية مع جميع الخلق([1])فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺقال له «اتق الله حيما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»([2]).

إن الإسلام منهج حياة، يصوغ المسلم صياغة ربانية خالصة من خلال الوحي السماوي المتمثل في الكتاب والسنة، وقد كان الوحي السماوي منذ الوهلة الأولى يحصن المسلمين من الغزو الفكري والثقافي، المتمثل في العقائد الضالة والمنحرفة، والمناهج الباطلة، لقد أعلمهم الله . سبحانه . أن وحيه هو الحق، وأن غيره هو الضلال المبين ؛ قال تعالى : ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾([3]).

ولقد أنكر الرسول ﷺإنكاراً شديداً على من طلب الهداية من كتب اليهود والنصارى، وزادنا تحصيناً عندما أعلمنا بما عند اليهود والنصارى من انحراف وباطل([4])" فعَنْ جَابِرٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: جَاء عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ: يَا رَسُول اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِن قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ عَبْدُاللَّهِ: فَقُلْت لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ

---

١ ـ يُراجع : الكتاب العلمي لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر ـ ٢/ ٧٥٩ ـ الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ـ ٢٠٠٦م ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٥ / ٢٨٤ـ طبعة الرسالة ، وقال المحقق : " حديث حسن لغيره، والإمام الترمذي في سننه ـ كتاب البر والصلة ـ باب : " ما جاء في معاشرة الناس" ـ حديث رقم : ١٩٨٧.

٣ ـ سورة يونس ؛الآية : ٣٢.

٤ ـ يُراجع : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ ص ٩١ ـ الطبعة الثانية عشرة ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥ م ـ دار النفائس ـ عمان ـ الأردن .

النَّبِيِّ ﷺ ثُمّ ؛ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمّ اتَّبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»([١]).

هذا ؛ وتجدر الإشارة إلى أن " من الأسباب التي تعمل على هدم الإسلام من خارجه، إقبال الشباب على الثقافات والأفكار غير الإسلامية، التي تُفسد فطرتهم، وتُضعف معتقداتهم، وذلك قبل أن يتعمقوا في دين الله ويحيطوا بمعالمه العامة، ويكوّنوا لأنفسهم حصانة فكرية تحميهم من الانزلاق في الشبهات وإتباع غير الحق"([٢]).

ولقد قام علماء الأمة بجهد مشكور في هذا السبيل ؛ فقاموا " بعملية التحصين الثقافي والفكري ضد الفلسفات والمناهج التي تغزو عقول المسلمين"([٣]).

كما أن للدول الإسلامية في صياغة شخصية المسلم السوي وتحصين عقله وفكره ضد الغزو الفكري والثقافي دوراً عظيماً([٤]) وذلك من خلال تسخير مؤسسات الدولة لتحقيق ذلك من خلال أمور؛ منها :

أ . التمسك بالشريعة الإسلامية وتطبيقها في البلاد الإسلامية في كل شأن من شؤون الحياة .

ب . العمل على توحيد المسلمين والقضاء على كل عوامل الفرقة والاختلاف بينهم، لإعادة ثقتهم بدينهم وثقافتهم وتراثهم الحضاري.

---

١ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ ٢٥/ ١٩٨ ـ حديث رقم : ١٥٨٦٤ ، وحسنه الألباني في الإرواء ، والمشكاة ؛ وقال : " قلت: لكن الحديث قوى ، فإن له شواهد كثيرة " إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٦ / ٣٤ ، وقال في تخريج أحاديث المشكاة : " وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، ولكن الحديث حسن عندي لأن له طرقًا كثيرة " مشكاة المصابيح ، للتبريزي ١ / ٦٣.

٢ ـ الإسلام وبناء المجتمع ص ٧٢.

٣ ـ يُراجع : الوافي في الثقافة الإسلامية ـ د. مصلح النجار ص ٣٨٧ ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ـ دار الرشد ـ ناشرون ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٤ ـ يُراجع الثقافة الإسلامية ـ ص١٦٧ ، ١٦٨ ـ إعداد مجموعة من العلماء في الثقافة الإسلامية ـ الطبعة الأولى : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م ـ المركز الوطني للتعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

ج . الدعوة إلى رفع راية الجهاد في سبيل الله لرد البغي والعدوان عن بلاد المسلمين، ولرفع الظلم والاضطهاد عن الشعوب الإسلامية المستضعفة.

د . مواجهة القوى المعادية للإسلام من تنصير واستشراق وعلمانية وماسونية، وتنبيه المسلمين إلى مكائدها وأهدافها، وتحذيرهم من مخاطرها وأضرارها، وتبصيرهم بسبل مواجهتها والوقاية منها.

هـ . التحرر من سلطان الثقافة الغربية ومناهجها وتصوراتها وأسسها الفلسفية، وإحلال الثقافة الإسلامية وتصورها العام للوجود وخالقه محلها، بحيث تهيمن الثقافة الإسلامية على الساحة الثقافية.

و . الاهتمام بالناشئة من أبناء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة تقوم على التمسك بالمنهج السلفي في فهم الإسلام والعمل به.

ز . الاهتمام بمناهج التربية والتعليم في جميع المراحل الدراسية وذلك بالاعتماد على الكتاب والسنة، وإعادة صياغة العلوم الإنسانية صياغة إسلامية، وتفنيد الشبهات المثارة في مناهج التعليم حول الإسلام ونظمه ومعالمه .

ح . الاهتمام بوسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة وذلك باستثمارها وتوظيفها لخدمة الإسلام والارتقاء بالمستوى الثقافي للأمة الإسلامية.

ط . دراسة المذاهب والنظريات الفكرية الحديثة دراسة متأنية، وذلك من حيث أصولها وجذورها الفكرية ووسائلها ومناهجها، ثم بيان موقف الإسلام منها.

ي . ضرورة تدريس مادة الثقافة الإسلامية في البلاد التي ليس فيها مقررات الثقافة الإسلامية وذلك في التعليم بشتى مراحله ؛ بدءاً من مرحلة التعليم الابتدائي وانتهاءً بالتعليم الجامعي بهدف تحصين الشخصية المسلمة وخلق مناعة فكرية لدى الدارسين ؛ ووجود مقررات دراسية تحت مسمى الغزو الفكري والثقافي .

المبحث الثالث : من صفات صاحب الشخصية السوية :

لصاحب الشخصية السوية المنشودة صفات كثيرة ينبغي تربيته عليها والتحلي بها ؛ وفيما يأتي ذكر طرف منها فيما يأتي :

أولاً. الفهم الصحيح للإسلام : إن حسن الفهم ووضوح الرؤية من الصفات الأساسية التي تسهم بشكل فاعل في بناء الشخصية السوية ، وإن الذي يعمل على جهل يفسد أكثر مما يصلح ؛ وفي هذا يقول الإمام ابن القيم . رحمه الله . :" صِحَّةُ الْفَهْمِ وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ وَلَا أَجَلُّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ وَطَرِيقُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنْ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ "(١).

ولقد ضل كثير من الناس بسبب هذه المسألة ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(٢).

ولذا؛ كان الأنبياء والرسل . عليهم الصلاة والسلام . حريصين على بيان هذا الأمر لأتباعهم ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣).

---

١ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ للإمام ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ـ تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ـ ١ / ٦٩ ـ الطبعة : الأولى : ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
٢ ـ سورة الكهف ؛ الآيتان : ١٠٣ ، ١٠٤.
٣ ـ سورة يوسف ، الآية : ١٠٨.

قال الإمام الفخر الرازي . رحمه الله . : " قُل لهم يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي وسنتي ومنهاجي... أدعو إلى الله على بصيرة وحجة وبرهان أنا ومن اتبعني إلى سيرتي وطريقتي وسيرة أتباعي الدعوة إلى الله . وهذا حال كل منهم . أنه على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين"([1]).

ثانياً . الاستقامة والثبات : الاستقامة والثبات على أمر الله . سبحانه . من أعظم نعم الله على العبد في الدنيا والآخرة ؛ قال الله . عَزَّ وَجَلَّ . : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾([2]).

قال الإمام البغوي . رحمه الله . : "سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ . رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . عَنِ الِاسْتِقَامَةِ فَقَالَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الِاسْتِقَامَةُ" أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا تَرُوغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ.
وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَدَّوُا الْفَرَائِضَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: اسْتَقَامُوا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى لَحِقُوا بِاللَّهِ.

---

١ ـ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ـ للإمام فخر الدين الرازي ـ ١٨ / ٥٢٠ ـ الطبعة: الثالثة ـ ١٤٢٠ هـ ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ لبنان .

٢ ـ سورة فصلت ؛ الآية : ٣٠.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اسْتَقَامُوا عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَلَمْ يَرْتَدُّوا. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْحَسَنُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا فَارْزُقْنَا الِاسْتِقَامَةَ"([١]).

هذا ؛ ومن صور الثبات : الثبات أمام المغريات ، ولقد ضرب لنا صاحب الدعوة الأول ﷺأروع المثل في هذا المجال ؛ فقد عرض عليه الملأ من قريش المال والرياسة والسيدة والملك فرفض كل ذلك ؛ فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِي قَالَ: " حُدِّثْتُ أَنْ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ – وَكَانَ سَيِّدًا– قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا، فَنُعْطِيَهُ أَيَّها شَاءَ وَيَكُفَّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَقُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السِّطَةِ ([٢]) فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ، وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ، وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ، وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنَّا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ" قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تريدُ بِمَا جئتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَكْثَرِنَا أَمْوَالًا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ. وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا. وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبَرِّئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ –أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ–حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ اللَّهِ

---

١ ـ معالم التنزيل والتأويل ؛ للبغوي ص ١١٥١، ويُراجع : الكشاف ؛ للزمخشري ٣ / ٨٠ ، ٤ / ١٩٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لابن عطية ٥ / ١٤ ، ٩٦ .

٢ ـ أي : من المنزلة والمكانة.

ﷺيَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ: "أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ " قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَاسْتَمِعْ مِنِّي" قَالَ: أَفْعَلُ. قَالَ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾(١) ثُمَّ مَضَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رسول الله ﷺإلى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: "قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ ؛ فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أُقْسِمُ –يَحْلِفُ بِاللَّهِ–لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسِّحْرِ وَلَا بِالشِّعْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا لِي، خَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ ليكونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ. قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ! قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ "(٢).

ثالثاً . الجدية والانضباط : شخصية المسلم شخصية سوية ؛ جادة ومنضبطة بضوابط الشرع الحنيف وملتزمة بأوامره ؛ مرجعيتها العليا للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

---

١ ـ سورة فصلت ؛ الآيات من ١ : ٤ .
٢ ـ تفسير ابن كثير ؛ ت : سلامة ٧ / ١٦٣.
٣ ـ سورة النور ؛ الآية : ٥١.

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِﷺعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ»"([1]).

وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»([2]).

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺأَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺفَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»([3]).

كما أن الحسن عند المسلم هو ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ([4]).

كما أن من الالتزام بالشرع طاعة ولي الأمر ؛ فيما لا يخالف الشرع ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

١ ـ أخرجه البخاري ـ كتاب الأحكام ـ باب : " كيف يبايع الإمام الناس " ـ موسوعة الحديث الشريف ـ الكتب الستة ـ صحيح البخاري ص ٦٠٠ ـ حديث رقم : ٧١٩٩ .

٢ ـ أخرجه الإمام مسلم ـ كتاب : الإمارة ـ باب :" وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية " ـ حديث رقم : ١٨٣٩ .

٣ ـ أخرجه البخاري ـ كتاب : الأحكام ـ باب : " السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية " ـ حديث رقم : ٧١٤٥.

٤ ـ يُراجع : الإسلام وبناء المجتمع ص ٣٠ .

مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[١].

وتجدر الإشارة إلى أن طاعة ولي الأمر مستمدة من طاعته لله ولرسوله ﷺويفهم هذا من قوله تعالى : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " ولم تتكرر لفظة " أطيعوا " مع أولي الأمر ؛ لأن طاعة ولي الأمر الشرعي مرتبطة بمدى طاعته وامتثاله لأمر الشرع الحنيف.

رابعاً ـ الإيجابية وحب الوطن : إن حب الأوطان من الإيمان ؛ ولذا بكى رسولنا ﷺعندما ودع مكة عشية الهجرة النبوية المباركة ؛ فسيدنا محمد ﷺ" قاسى مرارة الغربة، وفارق الأهل والعشيرة، فخرج مهاجرا من حرم الله وأمنه ومسقط رأسه، وموطن آبائه اضطرارا لا اختيارا.

وإنه ﷺ وقف على الثنيّة وحوّل وجهه إلى مكة، وقال: «إني لأعلم أنك أحب البقاع إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت»[٢].

وواجب على أبناء الإسلام أن يقتدوا به ﷺ وأن يعملوا ما فيه صالح مجتمعاتهم ؛ فالمسلم الحق هو الذي يحب الخير لوطنه ويكون أداة بناء فيه ، وليس معول هدم له ومصدراً لإشاعة الرعب والخوف والفزع والهلع بين أبناء مجتمعه وبني وطنه ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[٣]وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

١ ـ سورة النساء ؛ الآية : ٥٩.

٢ ـ شرف المصطفى ؛ لأبي سعيد لنيسابوري ـ ٤ / ٣٢٤ ـ حديث رقم : ١٥٤٨ الطبعة: الأولى ـ ١٤٢٤ هـ ـ دار البشائر الإسلامية – مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، ويُراجع :الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ؛ للسهيلي ـ تحقيق الوكيل ٤ / ٢٠٧ـ الطبعة: الأولى ـ ١٤١٢ هـ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب : الإيمان ـ باب : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " صحيح البخاري ص ٣ ـ حديث رقم :١٠.

«المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»([1]).

كما أن حب الوطن يوجب على كل منتمي لهذا الوطن أن يكون إيجابياً نحو بني وطنه وأبناء مجتمعه ؛ حتى لا تغرق السفينة ؛ فعليه واجب كبير يتمثل في : النصح لأبناء هذا الوطن والامتثال والعمل على تحقيق المبادئ التي جاءت بها سورة العصر([2]).

خامساً . الحفظ والعلم : للحفظ والعلم أهمية كبرى ومكانة عظمى في بناء الشخصية السوية ؛ وقد قال الله . تعالى . حكايةً عن نبيه يوسف عليه السلام لملك مصر : " اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ "([3]).

هذا ؛ وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد هنا تلازم . أيضاً . بين صفتي الحفظ والعلم وهو أمر من الوضوح بمكان في الآية الكريمة المذكورة آنفا.

هذا الكلام متصل بما قبله ومفاده أن الملك لما فسر له يوسف عليه السلام الرؤيا واستبان له صدقه وصحة ما أخبره به ؛ صدقه الملك وقال له : "إنك اليوم لدينا مكين أمين"([4]) ووصفُ يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين يجعله في حالة " يتمكن بها مما يريد". وقوله : "أمين" أي: قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما نسبت إليه.

و"مكين أمين" كلمة جامعة لكل ما يُحتاج إليه من الفضائل والمناقب، وذلك لأنه لا بد في كونه مكينا من القدرة والعلم...أما كونه أمينا فهو عبارة عن كونه حكيما لا يفعل الفعل لداعي الشهوة ؛ بل إنما يفعله لداعي الحكمة،

---

١ ـ أخرجه الإمام الترمذي في سننه ـ كتاب الإيمان ـ باب : ما جاء في أن" المسلم ما سلم المسلمون من لسانه ويده " سنن الترمذي ص١٩١٦ ـ حديث رقم : ٢٦٢٧، وقال : "هذا حديث حسن صحيح" ، وأخرجه النسائي في سننه ـ كتاب : الإيمان ـ باب : " صفة المؤمن " ـ سنن النسائي ص ٢٤١٠ ـ حديث رقم : ٤٩٩٨.

٢ ـ يُراجع : ملامح المجتمع المسلم من خلال سورة العصر ـ تحت النشر ـ للباحث.

٣ ـ سورة يوسف ، الآية : ٥٥.

٤ ـ سورة يوسف ، الآية : ٥٤.

فثبت أن كونه مكينا أمينا يدل على كونه قادرا، وعلى كونه عالما بمواقع الخير والشر والصلاح والفساد، وكل من كان كذلك فإنه لا يصدر عنه فعل الشر والسفه فثبت أن وصفه بكونه مكينا أمينا نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب.

ولذا ؛ لما قال الملك ليوسف عليه السلام إنك بلغت عندنا هذه المنزلة الرفيعة العالية ؛ ناسب أن يقول له نبي الله يوسف عليه السلام: " اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم" أي: على خزائن أرض مصر" . حفظها الله وسائر ديار المسلمين من كل سوء ..

ويمكن أن يقال : "حفيظ بجميع الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال، عليم بالجهات التي تصلح لأن يصرف المال إليها، ويقال: حفيظ بجميع مصالح الناس، عليم بجهات حاجاتهم".

"فالحفيظ لديه ضبط وتحمل لمسؤولية العمل الموكل إليه ، والعليم لديه إدراك لعمله وفهم وبصيرة فيه "([١]).

قال العلامة الشيخ : عبد الرحمن ناصر السعدي . رحمه الله . عند تفسيره لهذه الآية الكريمة المراد : " حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه."([٢]).

---

١ ـ الثقافة الإسلامية ـ د. سعيد بن ناصر الغامدي وآخرون ص ١٦٠.

٢ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت: ١٣٧٦هـ ـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ ١ / ٤٠١. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

المبحث الرابع : شواهد مجملة من القرآن الكريم والسنة النبوية :

لقد تحدثت كثير من آيات القرآن الكريم وكذا أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ عن صفات صاحب الشخصية السوية ؛ لذا يجب على كل مسلم أن يعرض نفسه وحاله على القرآن والسنة النبوية العطرة وما ورد في كل منهما من فرائض وأحكام وإرشادات ووصايا ؛ لأنها تُسهم بشكل فاعل في بناء شخصيته وتقويم ما بها من عوج حتى تستقيم على الجادة والهدى؛ وفيما يأتي ذكر طرف منها :

أولاً : صور ونماذج من القرآن الكريم :

١ ـ **من وصايا لقمان لابنه** : قال الله ـ تعالى ـ :﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾([1]).

أشارت الآيات الكريمات إلى أمور منها :

ـ وظيفة الإنسان ومهمته في هذه الحياة الدنيا : إن "عُلُوَّ مَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِ بِأَنْ يَكُونَ كَامِلًا فِي نَفْسِهِ وَمُكَمِّلًا لِغَيْرِهِ ؛ فَقَوْلُهُ: أَنِ اشْكُرْ إِشَارَةٌ إِلَى الْكَمَالِ ،

١ ـ سورة لقمان الآيات : من ١٣ : ١٩.

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ يَعِظُهُ إِشَارَةٌ إِلَى التَّكْمِيلِ، وَفِي هَذَا لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ لُقْمَانَ وَشَكَرَ سَعْيَهُ ؛ حَيْثُ أَرْشَدَ ابْنَهُ لِيُعْلَمَ مِنْهُ فَضِيلَةُ النَّبِيِّ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . الَّذِي أَرْشَدَ الْأَجَانِبَ وَالْأَقَارِبَ فَإِنَّ إِرْشَادَ الْوَلَدِ أَمْرٌ مُعْتَادٌ، وَأَمَّا تَحَمُّلُ الْمَشَقَّةِ فِي تَعْلِيمِ الْأَبَاعِدِ فَلَا، ثُمَّ إِنَّهُ فِي الْوَعْظِ بَدَأَ بِالْأَهَمِّ وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الْإِشْرَاكِ "([1]).

. سلامة العقيدة وصحة العبادة وحسن الخلق .

. الآية الكريمة درس عظيم في العقيدة وإرشاد للآباء والمربين وهذا ما حرص عليه لقمان الحكيم في تربيته لولده ؛ حيث بدأ بالأهم ؛ فالمهم ؛ لتكون أول ما يحرصون على غرسه في نفوس أبنائهم منذ نعومة أظفارهم ؛ وهذا من معاني البناء المعنوي ؛ الروحي والفكري لهم ؛ فالابن بنيان أبيه بمعنى أن الأب يتعهد ابنه بالرعاية والتربية والتأديب والتهذيب والإعداد والتكوين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

. حرص الإنسان على إصلاح غيره مع إصلاح نفسه.

. ضرورة الإخلاص والمراقبة لله . سبحانه . وبيان أن الأشياء مهما كانت متناهية في الصغر ؛ فهي لا تخفى على الله . تعالى . إن الله عليم خبير.

. حث على الإخلاص لله تعالى والتوجه إليه وحده بالعبادة ؛ فأمره بإقامة الصلاة.

. غرس الإيجابية في الولد منذ نعومة أظفاره ؛ لأنها وظيفة الأنبياء والرسل وأتباعهم ، وكذلك وظيفة أمة محمد أفراداً وجماعات " فَإِنَّ شُغْلَ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَتِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ هُوَ أَنْ يَكْمُلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَيُكْمِلُوا غَيْرَهُمْ "([2]).

. حث على الصبر ؛ لأنه زاد أصحاب الدعوة في كل زمان ومكان .

---

١ ـ مفاتيح الغيب ؛ للفخر الرازي ٢٥ / ١١٩.
٢ ـ مفاتيح الغيب ؛ للفخر الرازي ٢٥ / ١٢١.

. حث على التواضع وخفض الجناح للمؤمنين ؛ لأن ذلك من صفات عباد الرحمن .

. نهي عن المرذول من الأخلاق كالكبر والتبختر، والسعي في الأرض فساداً؛ بالاستطالة على الآخرين.

. حث على ضبط الجوارح ظاهراً وباطناً وتهذيب النفس وتأديبها بآداب الإسلام .

. نموذج لقمان الحكيم مع ابنه نموذج شامل وكامل لجميع جوانب التربية ؛ فشمل العقيدة والشريعة والأخلاق ؛ فما أحوج الآباء والمربين والعاملين في حقل الدعوة والثقافة الإسلامية إلى الأخذ به في تربية وإعداد أبنائهم ؛ ليكونوا شخصيات سوية ؛ يخدمون وطنهم وأمتهم ودينهم .

٢ . قال الله . تعالى . : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾([1]).نجد أن الآية الكريمة . آنفة الذكر . على وجازتها وقلة مبناها ؛ قد اشتملت على جوانب كثيرة تدلل على شمولية الإسلام ؛ كما تناولت صفات مهمة تُسهم بشكل كبير في بناء الشخصية السوية ؛ فأشارت إلى أمور العقيدة وأمور الشريعة والأخلاق .

٣. قال الله . تعالى . : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

---

١ ـ سورة البقرة الآية : ١٧٧.

مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ .وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾([1]).

ذكرت الآيات الكريمة جملةً من صفات المؤمنين ؛ وصاحب الشخصية السوية في أمس الحاجة للاتصاف بهذه الصفات العظيمة ؛ ومنها :

. أنهم في صلاتهم خاشعون وعلى أداء صلواتهم في أوقاتها مواظبون .

. أنهم للزكاة فاعلون .

. أنهم عن اللغو معرضون.

. أنهم أصحاب عفة ونزاهة عن كل ما من شأنه أن يُغضب الله . تعالى ..

٤ . **قال الله . تعالى .** : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ

---

١ ـ سورة المؤمنون ؛ الآيات : من ١ :١١.

بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1].

أشارت هذه الآيات الكريمة إلى عدة صفات مهمة لصاحب الشخصية السوية ؛ ومنها :

. التواضع وخفض الجناح للمؤمنين.

. التوسط والاعتدال في كل شيء ؛ ولا سيما في النفقات وما يتعلق بها .

. أنهم أصحاب حال مع الله . تعالى ..

. أنهم يجتنبون كل ما من شأنه أن يُغضب الله . عز وجل . ويستوجب سخطه ونقمته . سبحانه .

٥ . **قال الله . تعالى .** : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[2].

تمثل هذه الآيات نموذجاً للتفكر والتدبر في الكون وبديع صنع الله فيه ؛ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ؛ كآيتين على قدرة الله . سبحانه . ؛ كما أشارت إلى ابتهال وحال المؤمنين ووجلهم وخوفهم من النار .

---

١ ـ سورة الفرقان ؛ الآيات : من ٦٣ : ٧٦.

٢ ـ سورة آل عمران ؛ الآية : من ١٩٠ : ١٩٤.

ثانياً : صور ونماذج من السنة النبوية : لقد وردت في السنة النبوية العطرة أحاديث كثيرة ؛ تدلنا على أهمية بناء الشخصية السوية ومواصفاتها ؛ ولا غرو فرسول الله ﷺخير المربين وقائد المصلحين وإمام الأنبياء والمرسلين . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وفيما يأتي نماذج وصور لذلك الأمر :

١ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه . عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

يدعونا سيدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث الشريف إلى جملة من مكارم الأخلاق وجميل الصفات ومحاسن العادات الضرورية في بناء الشخصية السوية ؛ ومنها :

. أشار الحديث إلى أهمية تحقيق العدل في حياة الأمم والشعوب وأنه أساس الملك. . كما أشار . أيضاً . إلى أهمية الإنفاق في سبيل الله . تعالى . وفضل إخفاء الصدقة.

. أشار الحديث كذلك إلى ضرورة وأهمية نشأة الشباب في طاعة الله . سبحانه . والاستقامة والثبات على ذلك حتى الممات ؛ وأنى يكون ذلك إلا بملازمة بيوت الله والتعلق بها.

---

١ ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب : الأذان ـ باب " من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد " ـ حديث رقم : ٦٦٠، والإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب : الزكاة ـ باب : " فضل إخفاء الصدقة " ـ صحيح مسلم ـ حديث رقم : ١٠٣١ .

. كما أشار الحديث . أيضاً . حسن اختيار الأصدقاء ؛ فللصديق أثر كبير في حياة صديقه وصاحبه ؛ سلباً وإيجاباً.

. أشار كذلك إلى أهمية الخوف من الله . سبحانه . والبكاء من خشيته . عز وجل ..

٢ . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[١].

لقد أشار هذا الحديث إلى جملة أمور مهمة ومفيدة من صفات الشخصية السوية ومنها :

. أهمية حفظ العبد لأوامر ربه . سبحانه . بالفعل والامتثال ، ونواهيه بالترك.

. التعامل بمكارم الأخلاق مع البشر جميعاً ؛ بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم .

. الإيمان بالقضاء والقدر ؛ فلا يحدث في كون الله . سبحانه . إلا ما يريد.

. سلامة العقيدة ؛ فالنافع والضار هو الله . سبحانه ..

. صدق اللجوء إلى الله . تعالى . ؛ فلا يُسأل إلا الله . عز وجل . ولا يُستعان إلا به . سبحانه ..

١ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ؛ مسند أحمد ط الرسالة ٣٥ / ٢٨٤ ـ حديث رقم : ٢١٣٥٤،والإمام الترمذي في سننه ، واللفظ له ـ كتاب صفة القيامة ـ باب حديث حنظلة ـ حديث رقم : ٢٥١٦ ، وقال الإمام الترمذي : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

٣. عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ:« اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَ أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[١].

لقد اشتمل هذا الحديث الشريف مع وجازة لفظه وقلة مبناه على معان كثيرة ؛ مهمة في بناء الشخصية السوية ؛ ومنها :

. تقوى الله . سبحانه . في السر والعلن.

.التعامل بمكارم الأخلاق مع البشر جميعاً ؛ بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم

التوبة ؛ كلما غفل الإنسان أو قصر في جنب الله . سبحانه . أو فترعن طاعته . عز وجل ..

وقد كان رسول اللهﷺهو النموذج العملي والتطبيقي الذي تمثل بهذه الصفات وغيرها عملياً وربى عليها أصحابه ، ولا غرو ؛ فرسول الله ﷺ هو : " أنموذج الشخصية الإنسانية المتكاملة المتوازنة في الثقافة الإسلامية ؛ التي تتمثل فيها عناصر الشخصية الإسلامية الجامعة للصفات والأعمال ، والمقومات التي تمثل الشخصية الإنسانية في أرفع مستوياتها إيماناً وعملاً وعبادةً وخلقاً ؛ ولذلك تعتبر شخصيتهﷺ الشخصية التي يجب على المسلمين أن يقتدوا بها ويحذوا حذوها ويتأسوا بها ؛ فهي الأنموذج البشري والقدوة لكل الذين يتصدون لعملية التربية والتعليم ؛ وصدق الله . سبحانه . حين قال :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾([٢]).

١ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٥ / ٢٨٤ ـ حديث رقم : ٢١٣٥٤ ، ورمز له المحقق بالحسن .
٢ ـ سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢١.

المبحث الخامس: ضروريات الشخصية السوية محور مقاصد الشريعة :

تمهيد :

إن المحافظة على ضروريات الإنسان كانت ولا تزال محور مقاصد الشريعة ؛ فلقد " عينت الثقافة الإسلامية للمجتمع الإسلامي أهدافاً عليا تؤكد وجوده وتضمن استمراره ، وتحقق فاعليته ، وهي ثابتة لا يلحقها التغيير ولا التطور ؛ ومنها: المحافظة على الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال "([١]).

وفي هذا يقول الإمام الغزالي . رحمه الله . في المستصفى :" ومقصود الشرع من الخلق خمسة : هو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم "([٢]).

هذا ؛ وقد اختلف علماء الأصول حول استخدام مصطلح : النسل أوالنسب أوالعرض فيما يُعبر به عن الشرف في هذه الكليات الخمس ؛ ففي مجال الفرد يستخدم مصطلح: العرض بمعناه الواسع غير مقتصر على الأبضاع، وفي مجال الأسرة يستخدم مصطلح : النسل والنسب([٣])بل من العلماء الأثبات المعتبرين([٤]) من جعل حفظ العرض ضرورة أو كلية سادسة مستقلة يجب الحفاظ عليها ؛ وليس هذا فحسب ؛ بل من الباحثين المعاصرين . أيضاً . من أضاف لهذه الضرورات أخرى سابعة وهي : ضرورة الحفاظ على أمن المجتمع وبهذا تكون الكليات سبع كليات ([٥])وهذا الأمر له وجاهته

---

١ ـ الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها ـ د. إبراهيم النجار ورفاقه ـ ص ٢٥ ـ الدار العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ـ ٢٠٠٨م ـ القاهرة ، يراجع : وموسوعة عالم الإنسان ـ أد. أحمد شوقي إبراهيم ـ ٢ / ١٣٨ ـ ط ٢ ـ ٢٠١٢م ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة.

٢ ـ المستصفى ـ للإمام أبي حامد الغزالي ـ ١ / ١٧٤ ـ تحقيق محمد عبد السلام الشافعي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ يراجع : أصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي ١ / ٤٤٧ : ٤٥١.

٤ ـ يراجع :مدخل لدراسة الشريعة ـ د. يوسف القرضاوي ـ ص ٦٠ ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

٥ ـ يراجع : حقوق الإنسان بين مقاصد الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية ـ د. وردة بلقاسم العياشي ـ صفحات : ١١٦، ١٢٩ ، ١٣٠ ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١٢م ـ مكتبة خوارزم ناشرون ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية .

ويجب الاهتمام به ؛ لأنه أضاف أمراً مهماً وضرورياً للمجتمع المسلم أفراداً وجماعات ، ويمكن أن يكون أثراً طبيعياً للمحافظة على هذه الضروريات الخمس وسيأتي لهذ الأمر مزيد بيان لاحقاً . بإذن الله تعالى . .

هذا؛ وتجدر الإشارة إلى أن المحافظة على النفس مشروع الشخصية السوية ؛ كانت ولا تزال محور هذه الضروريات الخمس ؛ حيث إنها تأتي في المرتبة الثانية بعد حفظ الدين مباشرة ؛ فمن أجل صلاحها والمحافظة عليها ؛ أنزل الله . تعالى . الكتب وأرسل الأنبياء والرسل . رحمةً بعباده . وشرع الدفاع عن الحرمات والأوطان والمقدسات وأمر بالجهاد في سبيل الله . تعالى . من أجل الحفاظ على الدين ؛ الذي هو المنهج والدستور الذي يتبعه الإنسان ؛ ليسعد في الأولى والآخرة ؛ كما شرع حد شرب الخمر للمحافظة على العقل وحد القصاص والدية للمحافظة على حياة النفس من التلف أو إصابتها بأي ضرر، وشرع حد السرقة للمحافظة على المال وحد الزنا والقذف صيانة لعرضها وحفاظا على شرفها وكرامتها بالحفاظ على نسبها ونسلها ؛ ومن هنا ندرك أهمية المحافظة على هذه الكليات الخمس ؛ لأنها إذا تعطلت وانعدمت لم يكن للشريعة فائدة ولم يكن للتكليف بتعاليم الإسلام معنى ؛ وفي هذا يقول الإمام الشاطبي . رحمه الله تعالى . : " فلو عُدم الدين عُدم ترتب الجزاء المرتجى ، ولو عدم المكلف لعُدم من يتدين ، ولو عُدم العقل لارتفع التكليف (التدين) ، ولو عُدم النسل . لانقرضت البشرية . ولم يكن لها في العادة بقاء ، ولو عُدم المال لم يبق عيش"([1]).

ومن ثم يأتي دور الثقافة الإسلامية في إرشاد المجتمع المسلم وتوجيهه إلى ضرورة وأهمية المحافظة على هذه الكليات الخمس ؛عن طريق تربية الأمة

---

١ ـ الموافقات في أصول الشريعة ـ للإمام الشاطبي ـ ٢ / ١٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ٢٠٠١م.

الإسلامية أفراداً وجماعات على ذلك ؛ فمهمة الثقافة الإسلامية أن تبني الشخصية المسلمة السوية التي تلتزم بتشريعات الإسلام في هذا الشأن ؛ فتمتنع عن السرقة والقتل والردة واقتراف الفواحش ما ظهر منها وما بطن وكذا تمتنع عن شرب المسكرات ؛ محافظة على هذه الكليات الخمس ؛ لأن هذا الأمر " جزء من ممارسة المسلم للثقافة الإسلامية وإيمانه بتفوقها وصلاحها ؛ لأنها مستمدة من الشريعة الإسلامية التي ترجع إلى الله . سبحانه . الذي يؤمن المثقف المسلم به وبكل ما أنزل على رسول الله ﷺ من أوامر ونواهٍ وتوجيهات وإرشادات " ([1]).

ولقد حافظ الإسلام على هذه الكليات الخمس عن طريق أمرين ؛ من جانب الوجود بإقامة أركانها وتثبيت قواعدها ، ومن جانب العدم ؛ بتحريم الاعتداء عليها وتشريع العقوبات الرادعة عن ذلك([2]).

أولاً : المحافظة على دين الشخصية السوية :

١ . مفهوم الدين :

أ . الدين في اللغة : كلمة الدين مأخوذة من دان وهو لفظ من الأضداد ([3])يأتي في لغة العرب للدلالة على الشيء ونقيضه ؛ يُقال: " دانَ الرجلُ إذا عَزَّ، ودانَ إذا ذَلَّ، وَدَانَ إذا أَطاع، ودانَ إذا عَصَى، وَدَانَ إذا اعْتادَ خَيْرًا أَو شَرًّا ، والدِّينُ: الْعَادَةُ والشأْن ، والدِّين: مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الرَّجُلُ. والدِّينُ: السُّلْطَانُ. والدِّين: الوَرَعُ. والدِّين: الْقَهْرُ. وَالدِّينُ: الطَّاعَةُ والدين المعصية، والدِّين:

---

١ ـ الثقافة الإسلامية ـ د. عزمي طه سيد ورفاقه ـ ص ٢٨ ، ٢٩م ـ الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ٢٠٠٩ م القاهرة .

٢ ـ يراجع : السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي ـ تأليف د. نسيبة مصفى البغا ـ ص ١١٥.

٣ ـ يراجع : الفتح المبين بشرح الأربعين ، لابن حجر الهيثمي ص: ٧٨ ، ٧٩.

الْجَزَاءُ والمُكافأَة ، والدِّين: الإِسلام وَقَدْ دِنْتُ بِهِ "([١])أي : "اتَّخذه دينًا، وتعبَّد به، اعتنقه"([٢]).

ب . الدين في الشرع : هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المآل"([٣]).

٢. مكانته وأهميته في حياة الأمة :

إن التدين فطرة مركوزة في النفوس ويستحيل أن يعيش المرء بغير دين ؛ ولذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وكما هو معلوم فالإنسان مكون من جسد وروح وغذاؤهما مبثوث في توجيهات الدين الإسلامي وتعاليمه ، فقد جاءت تلك التوجيهات والتعاليم لإشباع حاجات وتحقيق السعادة لكل منهما.

فالبدن يحتاج إلى أمور منها : دواؤه وغذاؤه من الطعام والشراب واتباع العادات الصحية التي تضمن بقاء الجسد سليماً معافى من الأمراض والأسقام حتى تنعم الروح بالسعادة والطمأنينة ، والروح تحتاج إلى أمور منها : ضمان عقيدتها التي آمنت بها وعدم اضطهادها بسببها ؛ لأن العقيدة دين يملأ العقل والعاطفة والوجدان([٤]).

ومن هنا كان الدين في مقدمة الضرورات الخمس المنوط بها تحقيق السعادة للروح والجسد معاً وجاءت الشريعة لحفظه "بأمرين هما :

---

١ ـ لسان العرب ١٣/ ١٦٩ ، ١٧٠.

٢ ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٧٩٥.

٣ ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٨١٤ ، ويُراجع : التعريفات ، للجرجاني ص : ١٠٥.

٤ ـ يُراجع : الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ـ د. أحمد أحمد غلوش ـ ص ٣٣ ـ الطبعة : الثانية ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م ـ دار الكتاب المصري بالقاهرة ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان.

أ . مراعاة حفظه من جانب الوجود ؛ بإقامة أركانه وتثبيت قواعده ، فشرعت لذلك أصول العبادات ؛ كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج والصوم

ب . مراعاة حفظه من جانب العدم ؛ بما يدرأ عنه الاختلال الواقع أو المتوقع ؛ لذا شُرع الجهاد لمحاربة المعتدي ، وشرعت العقوبات المختلفة لمعاقبة المبتدعين في الدين"([١]) ففي شأن الحفاظ على الدين حرم الله . سبحانه . الكفر بعد الإسلام وشرع حد الردة وجعل جزاء من فعل ذلك القتل ، وشرع الجهاد في سبيله . سبحانه . نشراً للإسلام وتبشيراً به في العالمين ودفاعاً عنه وعن الأوطان والحرمات ؛ " فالإيمان أو حفظ الدين يأتي في المرتبة الأولى ؛ ولا غرو فهو الأصل المنفرد والمستبد على سائر المصالح والضرورات ، وعليه التعويل والاعتبار ، وله الصدارة المطلقة على سائر الكليات ، ولحفظه تُبذل المهج والأرواح والأموال ، ولا يسقط عن المكلفين بحال "([٢]).

ج . الأمر بتبليغ الدين والدعوة إليه : ومن صور المحافظة على الدين الإسلامي الأمر بتبليغه والدعوة إليه في العالمين حفاظاً عليه وضماناً لاستمراريته ؛ قال الله . تعالى . : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ "([٣])وظل هذا حال المصطفى ﷺ وفي حجة البلاغ في العام التاسع للهجرة وقف النبي ﷺ مودعاً الأمة وخطب فيهم وكان مما قال في ذلك اليوم : " اللَّهمّ هَلْ بَلَّغْتُ؟. قَالُوا: اللَّهمّ نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهمّ

---

١ ـ السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي ص ١١٥، ويُراجع : الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص ٣٥ ـ ٤٦.

٢ ـ أصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي ـ د. نمر أحمد السيد مصطفى ـ ١ / ٣٨١ ـ دار النوادر ـ ط ١ ـ ٢٠١٣م ـ دمشق.

٣ ـ سورة المائدة الآية : ٦٧.

اشْهَدْ"([١])وسار على الدرب سلفنا الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهم الذين عناهم حديث سيدنا رسول الله ﷺ : « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»([٢]).

د . حماية الدين من المعاندين : " بعد تمام الدين وكماله وتمسكه باحترام الإنسان وتكريمه وضمان حريته قضى بحمايته من المعارضين والمعاندين الذين يبغون هدمه وإزالته من الوجود ؛ فشُرع الجهاد حماية للدعوة وحفاظاً على الدين ؛ لأن التقصير في هذه الناحية يعرض الدين للزوال فكان لابد من حمايته"([٣]).

وتجدر الإشارة هنا : إلى أن حفظ الدين يأتي على مرتبتين هما :

المرتبة الأولى : حفظ الدين بمعنى حفظ أصوله .

والمرتبة الأخرى: حفظ الدين بمعنى حفظ الأحكام العملية لأركان الإسلام .

والفرق بينهما أن حفظ أصل الدين له الصدارة المطلقة دون منازع ، وأما حفظ الأحكام العملية لأركان الإسلام فهو متأخر في الرتبة عن سائر الضرورات ؛ ومثال ذلك : التضحية بالنفس في الجهاد دفاعاً عن الدين ، فالحفاظ على الدين هنا بمعنى الحفاظ على أصوله تكون له الصدارة في هذه الضرورات على الإطلاق، وتتأخر مرتبته فيأتي في آخر هذه الكليات إذا وقع تعارض بين الأحكام العملية لأركان الإسلام وبين سائر هذه الضروريات الخمس([٤]) ومثال ذلك : أنه إذا تعارض حفظ النفس مع حفظ الدين ، كما في حال تعارض أداء الصلاة مع إنقاذ الغريق ؛ فإن إنقاذه يقدم

---

١ ـ يُراجع : السيرة النبوية ، لابن هشام ـ تحقيق أ. د أحمد حجازي السقا ٢ / ٦٠٤.
٢ ـ أخرجه الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٠ / ١٧ ـ حديث رقم ٣٨٨٤.
٣ ـ يُراجع : الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص٤٥.
٤ ـ يُراجع : أصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي ١ /٣٦٧.

على الصلاة بالإجماع ، وكذا إذا تعارض مع حفظ المال يقدم حفظ المال . والسر في ذلك أن حفظ النفس وما يتعلق بها من أمور أخرى هي حقوق للآدمي ، وحفظ الدين حق لله تعالى([١]) وحقوق العباد مبنية على المشاحة وحقوق الله . سبحانه . مبنية على رفع الحرج والمسامحة.

ثانياً . المحافظة على حياة الشخصية السوية : للنفس في الإسلام مكانة كبيرة ؛ ولا غرو فهي تلي الدين في الرتبة في هذه الكليات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها " فمن أهم ضرورات الجسد المحافظة على ذات صاحبه وعدم تعريض نفسه للهلاك ؛ لأن النفس المريضة لا تصنع لصاحبها نفعاً ولا تجلب له إلا الأذى والألم وإن هلكت النفس انقطعت الحياة وانعدم الإنسان نفسه"([٢]).

وللحفاظ على النفس صور ، منها :

. اتباع العادات الحسنة في جميع الأمور كالطعام والشراب والملبس والمسكن النظافة والتجمل.

. المواظبة على الوضوء ؛ إذ به تتم نظافة الأطراف أولا بأول ؛ لأنها عُرضة للتلوث.

. الاغتسال بصفة متكررة طلباً للنظافة.

. الاهتمام بنظافة الأواني ونحوها أولاً بأول طلباً للمحافظة على صحة الإنسان.

. اتباع العادات الصحية في الطعام والشراب والبعد عن الإسراف والتبذير ، وكذلك البعد عن البخل والإمساك والتقتير ، قال الله . تعالى . في صفات

١ ـ يُراجع : أصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي ١ /٣٦٥ ، ٣٦٦.

٢ ـ الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص ٣٣.

عباد الرحمن : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾(١).

. غسل الأيدي قبل الطعام وبعده ، وفور الاستيقاظ من النوم اتباعاً للسنة وطلباً للنظافة.

. تنظيف الفم والأسنان من بقايا الطعام بالسواك أو ما ينوب عنه ؛ قتلاً للبكتيريا التي تسبب على المدى البعيد إصابة الأسنان بالتسوس وكذلك أمراض المعدة والبطن.

. الاهتمام بنظافة الثوب والبدن والمكان الذي يعيش فيه الإنسان ؛ حفاظاً على صحته.

. الاهتمام بالكشف الدوري وإجراء الفحوصات كل سنة مثلاً أوحسبما تقتضيه الظروف ، والاهتمام بتناول العلاج في حالة وجود مرض أو نحوه ؛ حفاظاً على حياة الشخصية السوية.

. البعد عن تناول أو اقتراف كل ما من شأنه أن يصيب الإنسان بالمرض أو يعرضه للهلاك أو للعقوبة في الدنيا أوالآخرة، ومن ذلك إتلاف العقل وتدميره بتناول المسكرات وما في حكمها ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ومن هذا الباب أيضاً الامتناع عن تناول أي من الأطعمة المحرمة والواردة في قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

---

١ ـ سورة الفرقان الآية : ٦٧.

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾([1]).

وكذلك البعد إتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعدم إتيان النساء أثناء فترة الحيض ومن هنا ندرك سر النهي الشرعي عن ذلك قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾([2]).

ومن هنا ندرك أن الإسلام أمر بالمحافظة على حياة النفس الإنسانية وأحاطها بسياج من الحماية وحافظ عليها سليمة من الأمراض والآفات وأرشدها إلى كل ما من شأنه أن يحفظ عليها صحتها في جميع مراحل حياتها ؛ وحرم . كذلك . الاعتداء عليها وقتلها وشرع القصاص وجعل من أماتها فكأنما أمات الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ؛ قال تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾([3]).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾([4]).

وقال تعالى :﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾([5]).

وقد ذهب الأصوليون إلى أن الحفاظ على حياة النفس الإنسانية يكون بأمور منها :

---

١ ـ سورة المائدة الآية : ٣.
٢ ـ سورة البقرة الآية : ٢٢٢.
٣ ـ سورة المائدة الآية : ٣٢.
٤ ـ سورة البقرة الآية : ١٧٨.
٥ ـ سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٩.

١ . مراعاة حفظها من جانب الوجود ؛ بتناول الطعام والشراب مما يتوقف عليه بقاء الحياة وصون الأبدان من التلف والهلاك.

٢- حفظها من جانب العدم ؛ بإقامة العقوبات علي من سولت له نفسه الاعتداء عليها أو المساس بها؛ فشرع القصاص "([١]).

٣ . حفظها وحمايتها من مشقة التكاليف : فالمشقة تجلب التيسير والشريعة جاءت برفع الحرج والمشقة عن المكلف " ومن المعلوم أن التكاليف الشرعية وضعت رعايةً لمصالح العباد وضماناً لسعادتهم في الدنيا والآخرة . إلا أنه في بعض الأحيان ينتج عنها الضرر إن فعلها المكلف ، وهنا نجد أن المشرع الحنيف محافظةً منه على سلامة الحياة يسقط هذه التكاليف بالكلية أو يستبدلها بغيرها"([٢])فالإسلام يخفف عن صاحب العذر حفاظاً على حياته ونفسه من زيادة الضرر أو الهلاك وأرشده إلى الانتقال إلى الأخذ بالرخصة كمن عجز عن استعمال الماء حقيقةً أو حكماً في الوضوء أو الغسل فإنه يلجأ إلى التيمم " فعن ابن عباس . رضي الله عنهما . أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ أَصَابَهُ احْتِلَامٌ، فَأُمِرَ بِالاغْتِسَالِ، فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: « قَتَلُوهُ قَتَلَهُمِ اللهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ »([٣]) والصلاة يقطعها المصلي إذا دهمه خطر أو مر بجواره حيوان مفترس أو رأى غريقاً أو حريقاً وهكذا. وكذلك الصوم والحج إذا لحق المكلف ما يوجب الإسقاط أو التأجيل كما أن التلفظ بالكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان جائز لمن خاف على نفسه .

---

١ ـ السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي ص ١١٥، ويُراجع : الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها ص ٢٦.

٢ ـ الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص ٥٧.

٣ ـ الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده وحسنه المحقق ٥ / ١٧٣ ـ حديث رقم : ٣٠٥٦.

وهذه كلها إسقاطات تتعلق بالفرائض والواجبات من أجل المحافظة على النفس ؛ كما أن هناك أشياء محرمة يبيحها الشارع الحكيم عندما تتعلق الضرورة بإباحتها ، كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر وكالطبيب يباح له النظر إلى العورة إذا كانت في الجزء الذي يعالجه. فالدعوة الإسلامية بشريعتها وضعت التكاليف . فعلاً وتركاً . من أجل المحافظة على النفس وسلامتها"([1]).

ثالثاً . المحافظة على عقل الشخصية السوية:

١ . بيان مفهوم العقل :

أ . العقل لغة : "العَقْلُ هُوَ التَّمْيِيزُ الَّذِي بِهِ يَتَمَيَّزُ الإنسان مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ، يُقَالُ: لِفُلان قَلْبٌ عَقُول، ولِسانٌ سَؤُول، وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمٌ؛ وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلًا: فَهِمه ، والعَقْلُ: التَّثَبُّت فِي الأُمور، والعَقْلُ: الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، وَالْجَمْعُ عُقولٌ ، والعَقْلُ: القَلْبُ، والقَلْبُ العَقْلُ، والعاقِلُ الَّذِي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا لأَنه يَعْقِل صاحبَه عَنِ التَّوَرُّط فِي المَهالِك أَي يَحْبِسه"([2]).

ب . العقل في الاصطلاح :

ذكر الجرجاني تعريفات كثيرة للعقل ورجح منها ما رأى أنه الصحيح ، ومن ذلك قوله : " العقل : جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، وقيل: العقل: جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان، وقيل: العقل: نور في القلب يُعرف به الحق والباطل، وقيل: العقل: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير بالنسبة إلى القاطع، وقيل: العقل والنفس والذهن واحد؛ إلا أنها

---

١ ـ الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ص ٥٧.

٢ ـ لسان العرب ١١/ ٤٥٨، ٤٥٩ ـ (مادة : عقل).

سميت عقلًا لكونها مدركة، وسميت نفسًا؛ لكونها متصرفة، وسميت ذهنًا؛ لكونها مستعدة للإدراك ، والعقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب ، والعقل: مأخوذ من عقال البعير؛ لأنه يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل، والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة"([1]).

٢ . **أهمية العقل وأنه مناط التكليف** : للعقل مكانة كبيرة ومنزلة عظيمة بين الضروريات الخمس التي جاء الشريعة الإسلامية بحفظها ؛ ولا غرو فهو : مناط التكليف ولولاه لما كان الإنسان مكلفاً شأنه في ذلك شأن الدواب ولا يحاسب مثلها يوم القيامة "قال حكيم : ركّب الله . تعالى . في الملائكة العقل بلا شهوة وركّب في البهائم الشهوة بلا عقل، وفي ابن آدم كليهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم. وقال أهل المعرفة العاقل من اتّقى ربّه وحاسب نفسه وقيل من يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها. وقيل الذي ذهب دنياه لآخرته. وقيل الذي يتواضع لمن فوقه ولا يحتقر من دونه ويمسك الفضل من منطقه ويخالط الناس باختلافهم. وقيل الذي يترك الدنيا قبل أن تتركه ويعمّر القبر قبل أن يدخله وأرضى الله . سبحانه . قبل أن يلقاه، وقيل إذا اجتمع للرجل العلم والعمل والأدب يسمّى عاقلا، وإذا علم ولم يعمل أو عمل بغير أدب أو عمل بأدب ولم يعلم لم يكن عاقلا"([2]).

إن الشريعة الإسلامية الغراء تهدف إلى بناء العقول السليمة والمحافظة عليها من كل غبش أو ضبابية تشوش عليها فكرها أو تعطلها عن الإدراك والعمل ؛ ولا غرو فالعقل مناط التكليف ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

---

١ ـ التعريفات ، للجرجاني ص: ١٥١ ، ١٥٢.
٢ ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعوم ، للتهانوي ١ / ١٢٠١.

عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(١)" فالأمانة هنا : أمانة التكليف بالفرائض ، والتكاليف الشرعية التي ينبغي على الإنسان القيام بها، أما بقية المخلوقات فهي غير مكلفة شرعاً ؛ لأنها أبت أن تحمل أمانة العقل ، التي بها تميز بين الخطأ والصواب والكفر والإيمان"(٢).

وقد ذهب الأصوليون إلى أن حفظ العقل " يكون بأمرين :

أ . حفظه من جانب الوجود ؛ بتوجيهه الي النظر والتفكير والاستنتاج ؛لقوله تعالي المتكرر في القران الكريم : (لعلهم يتفكرون) (افلا ينظرون) (افلا يعقلون).

ب . حفظه من جانب العدم ؛ بتحريم المسكرات ، وضرب العقوبة علي من يتناولها"(٣).

٣ . تحصين العقل المسلم ضد الغزو الفكري الوافد وسمومه : ومن صور المحافظة على العقل الحرص على بقائه نقياً بعيداً عن التلوث الفكري والسلوكي على السواء؛ ويتم ذلك عن طريق عدم تسميمه بالأفكار الهدامة وتزييف الحقائق وعرض الباطل عليه على أنه حق وعرض الحق على أنه باطل ؛ كما هو شأن كثير من وسائل الغزو الفكري المعاصر المعادي للإسلام؛ ومنها الإعلام ؛ الذي يكاد يتفق الباحثون على أن مفهومه وهدفه : " تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة ، والترفيه عنهم بنشر الأخبار الصادقة ، والإبداعات المفيدة ، والحقائق والحوادث وغيرها ، مما يساعد على فهم المشكلات وتكوين رأي صائب ، ينمي المجتمع ويرتقي بأفراده فإذا

---

١ ـ سورة الأحزاب الآية : ٧٢.

٢ ـ موسوعة عالم الإنسان ـ أد. أحمد شوقي إبراهيم ـ ٢ / ١٣٥.

٣ ـ السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي ـ تأليف د. نسيبة مصفى البغا ـ ص ١١٦، ويراجع : الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها ـ د. إبراهيم النجار ص ٢٦، وأصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي ١ / ٤٤٠ : ٤٤٥.

خلت وسائل الإعلام من هذه المعاني ، صارت وسائل تضليل وتدمير للناس "([١])وللأسف الشديد أصبحت كثير من وسائل الإعلام بشتى صوره ومختلف أساليبه " تلعب دوراً هاماً في الفتك بعقول الأجيال ، من خلال غسيل الأدمغة بشكل جماعي ،ومحاصرة العقول ؛ حيث تعرض الأخبار والتحليلات التي تمثل وجهة نظرها ، وتربي العقول على مناهج تفكير فاسدة "([٢]).

هذا ؛ " ولا يخفى أن النسبة العظمى من هذه الوسائل الإعلامية بما هي عليه الآن ، تقوم بعملية غسيل المخ لمشاهديها بعيداً عن القيم الإنسانية النبيلة ، والسلوك الفطري السوي ، وعن تعاليم الإسلام وهديه ومقاصده ؛ حيث تُعرَض فيها على جميع أفراد المجتمع . كباراً وصغاراً ، نساءً ورجالاً ، مثقفين وغير مثقفين . الأفكار والقيم والسلوكيات الضالة المحطمة للعقيدة ؛ المدمرة للأخلاق ، تحت ستار حرية الرأي ، أو البحث العلمي ، أو النقاش الموضوعي ، أو التجديد والتطوير ، أو الترفيه ، وتزيَن فيها الأقوال والأفعال القبيحة من غمز ولمز وغيبة ونميمة ،وتكشّف واختلاط ورقص فاضح ، وتُشَاهد في برامجها المختلفة صور من الخلاعة والميوعة والمجون ، وزرع الرذيلة والعنف والجريمة ، والسخرية من الحجاب ، والتهكم بعلماء الإسلام وبالمعلمين وغيرهم من قدوات المجتمعات المؤثرة ؛ باسم الترفيه والمزاح !"([٣]).

لقد ميز الإسلام الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل ، واعتبره نوراً ، ينير للإنسان طريق المعرفة ؛ ولا غرو فلكل شيء أساس ، وأساس الإنسان العقل ، وبقدره يكون دينه وعلمه ؛ ولذلك فالإعلام القرآني موجه إلى عقل

---

١ ـ الإسلام وبناء المجتمع ص ٨٧.
٢ ـ أصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي ١ / ٤٤٦، عن نحو تفعيل المقاصد ـ ص ١٦٢ .
٣ ـ الإسلام وبناء المجتمع ص ٨٧، ٨٨ .

الإنسان ؛ ولهذا يحثنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأن نستخدم العقل في الأمور؛ فأحكام الإسلام لا تتناقض مع العقل ، وواجب الإنسان أن يستخدم كل المعارف ليصلح من أحواله في المجتمع ويتصرف بعقله ويفكر ويتدبر كل أمر يُعرض عليه ، وينمو هذا العقل بالبحث المستمر والاجتهاد في الحياة الدنيا ؛ ليسعد في الدنا والآخرة ، وإذا ما أطفأ الإنسان نور عقله فإنه ينساق كالأنعام ويتبع هواه ، ويتعصب لشهوته وللعادات القديمة الجامدة ويتخبط في الحياة ؛ ولذلك يعاقب الله الإنسان إذا ما فعل شيئاً يؤثر على عقله بالضرر ؛ سواء أكان ضرراً مادياً أم معنوياً ، ومثالهما : شرب الخمر ، والغزو الفكري بتضليل العقول عن طريق نشر الأكاذيب والافتراءات على أنها حقائق ([1]).

إن الأصل في الإعلام أن يكون مرآةً صادقةً للتعبير عن الواقع المعاش ؛ وليس ليقوم بتضليل الرأي العام والعمل على تزييف الحقائق وتضليل العقول ؛ وهذا ما تقوم به وسائل الإعلام المذكورة ـ آنفاً ـ إجمالاً ؛ وهي بهذا يصدق عليها وعلى العاملين بها قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾([2]).

و قول الله ـ تعالى ـ أيضاً : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾([3]).

و قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾([4]).

---

١ ـ يراجع : الإعلام الإسلامي ـ د. محمد غياث مكتبي ـ ٦٤٧ ـ الطبعة : الأولى ـ دار المكتبي ـ دمشق ـ سورية .

٢ ـ سورة الواقعة ؛ الآية : ٨٢.

٣ ـ سورة الكهف ؛ الآية : ١٠٣ و١٠٤.

٤ ـ سورة النور؛ الآية : ٤٠.

كما يصدق عليها كذلك الحديث الطويل لرسولﷺ والذي بين فيه خطورة الكذب ؛ ومن ذلك أنه ﷺ أُخبر بأن: « الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ»([١]).

رابعاً . المحافظة على عرض الشخصية السوية : يقصد بالعرض : " كرامة الشخص وسمعته وهيبته التي إذا سقطت أو انتقصت فقد الإنسان ثقته واحترامه بين الناس " ([٢]) " وعرض الرجل حسبه ، وما يمدح به ويذم ، والجمع أعرض ؛ وأعراض الناس : أعرافهم و أحسابهم وأنفسهم " ([٣]).

وفي الاصطلاح هو : " موضع المدح والذم من الإنسان وما يحصل له بذكره الجميل مدح ؛ وبذكره القبيح قدح ، ويكون تارةً في نفس الإنسان وتارة أخرى في سلفه أو أهله "([٤]).

ولقد كان حفظ العرض أمرا ضروريا لما ينطوي على حفظه من إشاعة للثقة بين الأفراد بعضهم وبعض واطمئنان كل احد الى انه يفتري عليه شيء ليس فيه مما يكون له أثره الطيب على الفرد والمجتمع بانكماش الرذيلة وشيوع الفضيلة ومما جاء في هذا حديث أبي بكر . رضي الله عنه . وكان مما جاء فيه قول رسول الله ﷺ : « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ:

---

١ ـ صحيح ابن حبان للإمام : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وتعليق الشيخ الألباني ـ ٢/ ٤٢٧ ـ الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ـ مؤسسة الرسالة – بيروت ـ لبنان . الحديث ؛ صححه الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ : في « تخريج فقه السيرة» (١٣٧) ورمز له الشيخ / شعيب الأرنؤوط : بالصحة.

٢ ـ حقوق الإنسان بين مقاصد الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية ص ١٢٣.

٣ ـ يراجع : لسان العرب مادة : (عرض).

٤ ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب

وَأَعْرَاضَكُمْ – حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»([1]).

وجمعُ رسول الله ﷺ بين حرمه الأعراض وحرمه الدماء أو النفس والأموال ، يدل دلاله قاطعه علي ما للأعراض من أهميه ، وما تتمتع به في ظل الإسلام من حرمه ، كانت معها جديرة بأن تعد من الضرورات الكلية التي تراعيها الشريعة وتحافظ عليها .

ولذلك رصدت شريعة الإسلام عقوبة زاجرة لهؤلاء الذين لا يعرفون للأعراض حرمة ولا يقدرون لها أهميةً أو مكانةً ؛ فكانت عقوبة الجلد وعدم قبول الشهادة جزاءً عادلاً راد اً لمن ينتهكون أعراض غيرهم ويقذفونهم بالزنا خاصة والأساس في هذه العقوبة قول الله . تعالي . : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾([2]).

وذهب الأصوليون إلى أن حفظ العرض يُعبر عنه تارة بحفظ النسب ، وأخرى بحفظ النسل ، ولا مشاحة في ذلك . وقد مر بنا آنفاً شيء من ذلك .

و" حفظه يكون بأمرين:

أ . من جانب الوجود : بإباحة ما فطرت عليه النفس البشرية ، فشرع النكاح.

ب . من جانب العدم : بتحريم الزنا وتشريع حد الزنا وحد القذف "([3]).

خامساً . المحافظة على مال الشخصية السوية : لقد جعل الله . سبحانه . الإنسان خليفةً على الأرض وأمره بعمارتها ونشر الخير والصلاح فيها وهذا من صميم رسالته على ظهرها ؛ قال الله . تعالى . : ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ

---

١ ـ أخرجه الإمامان البخاري وسلم في صحيحيهما ـ صحيح البخاري ٢ / ١٧٦ ـ حديث قم : ١٧٣٩ و صحيح مسلم ٣/ ١٣٠٥ـ حديث رقم : ١٦٧٩ .

٢ ـ سورة النور ، الآية : ٤.

٣ ـ السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي ص ١١٦.

الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(١) كما فطره الله . سبحانه . على حب المال وجمعه وتحصيله وتنميته؛ ونظراً لما للمال من مكانة ومنزلة في حياة الناس ؛ قال تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(٢) وقال . سبحانه . ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٣) " أي : لحب المال ؛ إذ إنه قوام الحياة ، وبه يستطيع الفرد والمجتمع أن يعيشوا في سعةٍ ورخاءٍ ؛ ولهذا كان المال من الضروريات التي لا تستقيم الحياة الإنسانية إلا بتحقيقها ؛ فالمال يدفع عن الناس الأخطار والأزمات "(٤) وبه يستطيع الإنسان تحقيق ما يريد ؛ إذ هو ضرورة به يتحقق " كل ما تتوقف عليه الحياة في أصلها ، وكمالها ، وعزها ، من علم وصحة وقوة ، وما أشاع فيها من عمران وسلطان لا سبيل إليه إلا بالمال "(٥)قال الله . سبحانه . :﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٦).

ويقول الشاعر :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم *** لم يُبنَ مجد على جهل وإقلال .

ولقد تعامل الإسلام مع الإنسان بواقعية وراعى رغباته وحاجاته ؛ فجعل المال عصب الحياة ؛ كما جعل حب التملك غريزة جبل الإنسان عليها ؛ ولذا دعا للعمل وكسب بالمال بالطرق المشروعة ؛ فعن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، قال: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ

---

١ ـ سورة هود ، الآية : ٦١.
٢ ـ سورة الفجر ، الآية : ٢٠.
٣ ـ سورة العاديات ، الآية : ٨.
٤ ـ حقوق الإنسان بين مقاصد الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية ص ١٢٣.
٥ ـ الإسلام عقيدة وشريعة ـ الإمام الأكبر أ. د . محمود شلتوت ـ ص ٢٥٠ ـ الطبعة : الرابعة عشرة ـ دار الشروق ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ القاهرة ـ مصر.
٦ ـ سورة الكهف ، الآية : ٤٦.

عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ زَغْبَةً صَالِحَةً ([1]) قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ زَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ »([2]).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»([3])

" والقوة هنا لفظ عام يشمل القوة المادية كما يشمل القوة المعنوية سواءً بسواء ؛ وحرم الإسلام الحصول على المال بصورة غير مشروعة ؛ كالاعتداء عليه بالسرقة والاختلاس والرشوة ؛ وكذا حرم كسبه من طرق خبيثة غير مشروعة.

ولأهمية المال في حياة الناس جعله الإسلام من الضروريات التي أوجبت الشريعة حفظها ومنعت من الاعتداء عليها بأي صورة من الصور ؛ ولذا قرر علماء الأصول أن حفظه يكون بأحد " أمرين :

أ . من جانب الوجود ؛ بتنميته تنمية مشروعه ؛ ولذا شرع الله طرقاً لكسبه وإنفاقه.

ب . من جانب العدم : بتحريم سرقة المال وتشريع حد السرقة" ([4]).

---

١ ـ الزعب هو : الدفع والقسم (بفتح القاف وسكون السين) والكثرة والتدافع ، والمعنى ؛ أي : أعطيك دفعةً عظيمة من المال قد تنوء بحملها لثقلها . يُراجع : النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير الجزري ـ تحقيق . د. عبد الحميد هنداوي ـ ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ ـ (زعب) ـ المكتبة العصرية ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م ـ بيروت ـ لبنان.

٢ ـ مسند أحمد ط الرسالة ـ تحقيق الشيخ . شعيب الأرنؤوط ـ ٢٩/ ٢٩٨ ـ حديث رقم : ١٧٧٦٣وقال : صحيح على شرط مسلم.

٣ ـ صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٢ ـ حديث رقم : ٢٦٦٤.

٤ ـ السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي ـ تأليف د. نسيبة مصفى البغا ـ ص ١١٦.

المبحث السادس : تحقيق الأمن من آثار المحافظة على ضروريات الشخصية السوية :

إن تحقيق الأمن من أهم الآثار المترتبة على المحافظة على ضروريات الشخصية السوية ؛ ولا غرو فهي من خصائص المجتمع المسلم ؛ ويُقصد به :" تحقيق السكينة والطمأنينة والاستقرار على مستوى الفرد والجماعة، ويعتبره الإسلام نعمةً عظمى ومنةً كبرى من الخالق . سبحانه . ؛ لأنه عامل من أهم عوامل الراحة والسعادة لبني الإنسان في الحياة، وهو مطلب رئيس للمجتمعات جميعها، بيد أن حصولها عليه ليس بالأمر اليسير، وإن الوقائع والأحداث من حولنا لتشهد بهذا.

وثمة تلازم واضح بين الأمن والإيمان، وبين الكفر والخوف، قال تعالى :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١) ولما كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً مؤمناً ملتزماً، كان بالضرورة آمناً، ونحسب أننا لا نبالغ عندما نقول إن البشرية قلما شهدت مجتمعاً ساده الأمن والأمان كالمجتمع الإسلامي على مرِّ العصور، وحسبنا دليلاً على هذا، الإحصاءات والأرقام التي تتحدث عن أعداد مذهلة ومخيفة في جرائم القتل والسرقة والاغتصاب، في الدول التي تتصف على أنها من دول العالم الأول "(٢).

إن الإنسان محتاج إلى نعمة الأمن ؛ كاحتياجه إلى نعمة الطعام والشراب أو أشد ؛ ولذا فهي من أعظم نعم الله . تعالى . على الإنسان ؛ وقد امتن الله بها على قريش وضربها مثلاً للعالمين إلى يوم الدين ؛ وفي هذا الشأن يقول

---

١ ـ سورة النحل ، الآية :١١٢.

٢ ـ الإسلام وبناء المجتمع ص ٣٥، ٣٦.

الله . تعالى . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ([1]).

كيفية تحقيق الأمن في المجتمع المسلم :

إن الأمن في المجتمع المسلم يمكن أن يتحقق بأمور ؛ منها ما يأتي:

١. مراقبة الله . سبحانه . ويقظة الضمير : إن " الأصل في الإنسان المسلم أنه لا يحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي يرتدع عن الجرائم، لأنّ رقابة الإيمان أقوى، والوازع الإيماني في قلب المؤمن حارس يقظ، لا يفارق العبد المؤمن ولا يتخلّى عنه "([2]) فالإيمان هو الذي يحقق الأمن للمجتمع ويقيه من الأخطار وهذا من أهم ما يميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ؛ أنه مجتمع يتمتع أفراده بوجود الوازع الديني ويقظة الضمير ومراقبة الله . سبحانه . إذ إنها تمثل حارساً أميناً يدفع المسلم نحو الفضائل والمعالي دائماً ؛ وبهذا تكون رقابة المسلم داخلية نابعة من ذاته هو ؛ ثم قبل ذلك وبعده رقابة الله . سبحانه وتعالى . ؛ ولذا فالمسلم يقوم بواجبه المنوط به على الوجه الأكمل سواء راقبته عيون البشر أم لم تراقبه ؛ لأن عين الله . تعالى . التي لا تغفل ولا تنام تنظره وتراقبه ؛ وقد ذكر الله . تعالى . لنا هذا الأمر في مواضع عديده من كتابه الكريم كتابه الكريم ؛ وقال . سبحانه . : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾([3]) وقال سبحانه : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا

---

١ ـ سورة قريش ؛ الآيتان : ٣ ، ٤ .
٢ ـ الإسلام وبناء المجتمع ص ٣٦.
٣ ـ سورة المجادلة ؛ الآية : ٧ .

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١) وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾(٢) .

كما جعل الرسول ﷺ كف الأذى عن الآخرين من علامات الإيمان ؛ كحفظ المسلم للسانه ويده ، وأن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

إن المسلم مصدر أمن وأمان للمجتمع ؛ أي : لنفسه وللآخرين ، وليس مصدر رعب وإرهاب .

٢ ـ **تطبيق الشريعة الإسلامية** : يجب على المجتمع المسلم تطبيق التشريع الإسلامي بكماله وتمامه وجميع أحكامه التي جاءت بكل ما من شأنه أن يحفظ على الناس المصالح بمراتبها الثلاث ؛ وهي على النحو التالي : الضروريات ؛ وتشمل : الدين والنفس والعقل والنسل والمال وكذا الحاجيات والتحسينيات ؛ ومن أهم ما جاءت به الشريعة الغراء ؛ أحكام العقوبات المقدرة شرعاً ؛ كالحدود والقصاص ، وغير المقدرة كالتعزيرات (٣). وقد سبقت الإشارة ـ آنفاً ..

ومما تجدر الإشارة إليه هنا : أن هذه " العقوبات موانع لفئة من الناس من المساس بأمن المجتمع، فإن الإسلام لا يركن في هذا المقام إلى الوازع الفردي والرقابة الجماعية فحسب؛ فإن بعض النفوس تميل إلى حبّ السيطرة والعدوان، والقويّ ميّال إلى النيل من الضعيف، وقد لا تكفي والحالة هذه؛ صيحات التهذيب والإصلاح، ولا آيات الوعيد بأليم العذاب في الآخرة

---

١ ـ سورة الحديد ؛ الآية : ٤.
٢ ـ سورة طه ؛ الآية : ٧ .
٣ ـ يُراجع : الثقافة الإسلامية ـ د. فيصل سعيد بالعمش ورفاقه ـ ص ١٨٦ـ الطبعة : الثالثة ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م ـ مركز النشر العلمي ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية.

للمعتدين ؛ وقد لا يكفي هذا ولا ذاك في صون المجتمعات، فلابد من رادع ماديّ وعقاب عاجل، كي تنزجر هذه الفئة، ويعيش المجتمع آمناً.

هذا ؛ ولا يخفى أن المقصد الأسمى للإسلام هو إصلاح الفرد والمجتمع ، وقد بذل في سبيل ذلك جهوداً كبيرة ؛ آتت ثمارها بفضل الله . تعلى . فكان من تمام حكمة الله ومظاهر رحمته ، أن يرعى هذا الإنجاز العظيم ، ويصونه من عبث العابثين ويأخذ على أيدي الخارجين على القانون ؛ فكانت الحدود والعقوبات بعامة ؛ رحمةً من الله . تعالى . بالمجتمع .

ولقد أثبت التاريخ أن المجتمع الإسلامي عندما طبق الحدود، عاش آمناً مطمئناً على أمواله وأعراضه ونظامه، وقد كانت الحجاز مرتعاً خصباً لأشنع جرائم السرقة وقطع الطريق، فما أن طبقت الدولة السعودية الحدود حتى استتب الأمن وانقطعت السرقات حتى أصبحت البلاد مضرب المثل في الأمن والأمان .

إن الّذين يعترضون على هذه الحدود بحجة الإشفاق على الأفراد، هم في حقيقة الأمر يعتدون على حقوق مجتمع بأكمله، فجرمهم بهذا المسلك، أشدّ وأقبح من جرم من ارتكب جريمته.كما أننا نقول لأولئك الذين يرون أن بعض العقوبات قاسية، تعذر عليهم – لجهلهم– أن يتصوروا قساوة الجريمة التي قام بها من استحق هذه العقوبة، إذ لو لم تكن العقوبة بمستوى الجريمة، لما كانت هذه العقوبة رادعة ، لقد غاب عن هؤلاء الذين يعترضون على العقوبات الشرعية، أن حياة المجتمع وأمنه، منوطة بها ([١]) .

أيها القارئ النجيب إن التهديد بقتل من يقتل، أو تنفيذ حكم القصاص فيه، كفيل بأن يحول بين عشرات جرائم القتل التي كانت قد تحدث لولا الخوف

---

١ ـ سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٩ .

من القصاص، وأن الوقائع والأحداث التاريخية خير شاهد على هذا. وبناءً على ما تقدم ينبغي على أبناء المجتمع الإسلامي أن لا يلتفتوا إلى أدعياء الإنسانية، والمتسترون بحقوق الإنسان، والذين يهدفون إلى تدمير المجتمع، وإلى إشاعة الفاحشة فيه، وإلى نزع الأمن الإسلامي من جنباته ، وذلك عن طريق الاعتراض على العقوبات الشرعية بحجة الغيرة المزعومة على حياة أفراد لم يعد لهم مكان في المجتمع بسبب انحرافهم. إن العقوبات التي شرعها الإسلام بشروط وضوابط هي غاية في الاحتياط ، تعدّ رحمة من الله . تعالى . لأنها تحفظ أمن المجتمع ، وتجعله متميزاً بمثله وقيمه بين المجتمعات الأخرى "([1]).

٣ . **إيجابية المجتمع المسلم نفسه وقيامه برسالته** : يجب على المجتمع المسلم أن يقوم بدوره المنوط به . حسبةً لربه سبحانه . " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ "([2]) وقال الله . تعالى . : " وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ "([3]) .

ومن هنا فيمكن القول : بأن المجتمع المسلم ؛ مجتمع ينصح بعضه بعضاً حسبةً لله . تعالى . ، وإذا ظهر فيه عطب تعافى بفضل قيام أفراده بواجب النصح للمجموع ؛ فعن « النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى

---

١ ـ يُراجع : الإسلام وبناء المجتمع ص ٣٧ ، ٣٨.
٢ ـ سورة آل عمران ؛ الآية : ١١٠.
٣ ـ سورة العصر ؛ الآيات : من ١ : ٣ .

أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا »([1]) .هذا؛ وإن " المجتمع الإسلامي في أصل تكوينه ما هو إلا عدد كبير من الأسر التي نشأت على هدي من الله . تعالى . فقامت بدورها المنوط بها في رعاية أفرادها وتوجيههم، ليكونوا عناصر خير وحراس أمن في المجتمع.

كما يضاف إلى هذا، أن المجتمع نفسه تحكمه ضوابط أخلاقية وتسود فيه روابط اجتماعية، منبعها كلها الإيمان، تزين لأبنائها كل أشكال الخير وتحثهم عليه، وتقبح عليهم كل أشكال الشر، وتحذرهم منه، فالمجتمع الإسلامي بهذه المواصفات المتميزة يرعى أبناءه، ويحاصر فيهم نزعة التفرد والتمرد، ويعززّ في نفوسهم احترام القيم الجماعية، وهذا يسهم إلى حدٍ بعيد في توفير الأمن لهذا المجتمع"([2]).

---

١ ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب : الشركة ـ باب : " هل يُقرع في القسمة والإسهام فيه " ـ حديث رقم : ٢٤٩٣ .

٢ ـ يُراجع : الإسلام وبناء المجتمع ص ٣٧.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد ؛ فها نحن قد وصلنا لخاتمة بحثنا هذا عن : بناء الشخصية السوية في ضوء الثقافة الإسلامية.

ويجدر بنا هنا أن نسجل بعض النتائج والتوصيات من خلال الدراسة ؛ ومنها :

أولاً : بعض النتائج :

١ . إعداد الشخصية السوية وتحصينها ضد التيارات الفكرية المعاصرة المعادية للإسلام ؛ فريضة شرعية وضرورة عصرية .

٢ . حرص الإسلام على تكوين وإيجاد هذه الشخصية منذ فجر الدعوة الإسلامية ؛ لأنها متى وُجدت توافرت معها أسباب النجاح .

٣ . كانت المحافظة على ضروريات هذه الشخصية محور مقاصد الشريعة الإسلامية.

٤ . اهتمام الإسلام بالإنسان كان شاملاً ؛ فبدأ هذا الأمر منذ وقت مبكر قبل أن يُوجد ويخرج للحياة ؛ فحث على تهيئة وإيجاد البيئة الصالحة له ؛ كما اهتم به بعد أن خرج للنور وجاء للحياة ؛ فجعل له حقوقاً نحو والديه والمجتمع من حوله ؛ بل صحبته هذه الرعاية وذلك الاهتمام من المهد إلى اللحد.

٥ . اهتمام الإسلام بإعداد الشخصية السوية ؛ عقائدياً ، وعبادياً ، وخُلُقياً ، وثقافياً.

٦ . تحقيق الأمن للفرد والمجتمع من آثار المحافظة على الضروريات الخمس للشخصية السوية.

٧ . حرم الإسلام الاعتداء على الجنين بأي وسيلة كانت ؛ لأنه نفس معصومة.

٨ . أوجب الإسلام الدية على من يتسبب في إسقاط الجنين وإجهاضه ؛ غرة عبد أو أمة .

٩ . تتعدد الديات بعدد الأجنة الذين أُسقطوا ؛ فلو ضربت أم فسقط منها أكثر من جنين ؛ وجبت في كل منهم دية مستقلة .

١٠ . إذا نزل الجنين ميتاً من بطن أمه ؛ ففيه الدية المذكورة . آنفاً . أما إذا نزل حياً ثم مات بفعل الاعتداء على أمه وجبت فيه الدية كاملةً مائة من الإبل.

١١ . خفف الإسلام عن الأم بعض العبادات التي قد تؤثر على غذاء جنينها ؛ فرخص لها في الفطر في شهر الصيام ؛ حفاظاً على صحة جنينها أو رضيعها.

١٢ . أجاز الإسلام في الجملة إجراء عملية جراحية ؛ وذلك بفتح بطن الأم الميتة وإخراج الجنين منه متى تحققنا من حياته .

ثانياً : بعض التوصيات :

١. ضرورة تدريس مادة الثقافة الإسلامية في التعليم العام في البلاد التي ليس فيها مقررات الثقافة الإسلامية ؛ وذلك في التعليم بشتى مراحله ؛ بدءاً من مرحلة التعليم الابتدائي وانتهاءً بالتعليم الجامعي ؛ بهدف تحصين الشخصية المسلمة وخلق مناعة فكرية لدى الدارسين من أبناء المسلم.

٢. ضرورة وجود مقررات دراسية تحت مسمى الغزو الفكري والثقافي وذلك بغية إيجاد الشخصية السوية المتوازنة المعتدلة والقضاء على العنف والإرهاب والغلو والتقصير.

٣ . ضرورة العمل على إيجاد الشخصية الربانية وفق منهج القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة.

هذا ؛ وبالله التوفيق وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو عاصم
عبد المعبود إسماعيل.
جازان . المملكة العربية السعودية.

المصادر والمراجع

١) . القرآن الكريم . سبحان من أنزله . .

٢) . الإبانة الكبرى ، أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري : (ت : ٣٨٧هـ) تحقيق : رضا معطي ، وعثمان الأثيوبي ، ويوسف الوابل . دار الراية للنشر والتوزيع . الرياض . المملكة العربية السعودية .

٣) . الأدب الفرد . للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . الطبيعة الأولى : ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م . دار الصديق . الجبيل . المملكة العربية السعودية.

٤) . إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . لمحمد ناصر الدين الألباني . الطبعة : الثانية : ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م . إشراف: زهير الشاويش . المكتب الإسلامي – بيروت . لبنان

٥) . الإسلام عقيدة وشريعة . الإمام الأكبر أ. د . محمود شلتوت . الطبعة : الرابعة عشرة . دار الشروق . ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م . القاهرة . مصر .

٦) . الإسلام وبناء المجتمع . أ.د. حسن عبد الغني أبو غدة وآخرون . ط . الخامسة . ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠م . مكتبة الرشد ناشرون . الرياض . المملكة العربية السعودية.

٧) . الإسلام وثقافة الإنسان . سميح عاطف الزين . الطبعة السابعة . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١م . دار الكتاب اللبناني . بيروت لبنان.

٨) . أصول النظر في مقاصد التشريع الإسلامي . د. نمر أحمد السيد مصطفى . دار النوادر . الطبعة : الأولى . ٢٠١٣م . دمشق . سورية .

٩) . أضواء على الثقافة الإسلامية . د. أحمد فؤاد محمود . ط ١ . ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م . إشبيليا للنشر والتوزيع . المملكة العربية السعودية.

١٠) . أضواء على الثقافة الإسلامية . د. نادية شريف العمري . ط ٩ . ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان.

١١) . الإعلام الإسلامي . د. محمد غياث مكتبي . ط ١ . دار المكتبي . دمشق . سورية .

١٢) . إعلام الموقعين عن رب العالمين . لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ . تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم . الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م . دار الكتب العلمية – بيروت . لبنان.

١٣) . البحر المحيط في التفسير . أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي . (ت : ٧٤٥هـ) . تحقيق : صدقي محمد جميل . طبعة : ١٤٢٠ هـ . دار الفكر – بيروت . لبنان.

١٤) . البداية والنهاية ؛ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ . تحقيق: علي شيري . الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م ٣ / ٣٩ ، ٤٠ . دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان.

١٥) . بداية المجتهد ونهاية المقتصد . أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) – دار الحديث – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م– القاهرة – مصر .

١٦) . تاج العروس من جواهر القاموس . للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي :(ت: ١٢٠٥هـ) . تحقيق : مجموعة من المحققين . طبعة دار الهداية.

١٧) . التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس.

١٨) . التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي . عبد القادر عودة . مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ١٤ – ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧م

١٩) . تفسير الراغب الأصفهاني . للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) . تحقيق ودراسة مجموعة من

الباحثين . الطبعة الأولى : ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م . الناشر كلية الآداب – جامعة طنطا . مصر .

٢٠) . تفسير القرآن العظيم . لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت: ٧٧٤هـ . تحقيق: سامي بن محمد سلامة . الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م . دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢١) . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت: ١٣٧٦هـ . تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق . الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان.

٢٢) . الثقافة الإسلامية . د. فيصل سعيد بالعمش ورفاقه . الطبعة : الثالثة . ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م . مركز النشر العلمي . جامعة الملك عبد العزيز . جدة . المملكة العربية السعودية.

٢٣) . الثقافة الإسلامية ؛ تخصصاً ، ومادة ، وقسماً علمياً . د. عبد الله الطريقي ورفاقه . ط١ . ١٤١٧هـ . فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض . المملكة العربية السعودية .

٢٤) . الثقافة الإسلامية . د. عزمي طه سيد ورفاقه . الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ٢٠٠٩م . القاهرة . مصر .

٢٥) . الثقافة الإسلامية . د. فيصل سعيد بالعمش ورفاقه . الطبعة : الثالثة . ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م . مركز النشر العلمي . جامعة الملك عبد العزيز . جدة . المملكة العربية السعودية.

٢٦) . الثقافة الإسلامية . د. يوسف بن على الطريف ورفيقه . مكتبة الرشد بالمملكة العربية السعودية . بدون .

٢٧) . الثقافة الإسلامية وتحديات العصر . د. شوكت محمد عليان . الطبعة : الثانية . ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م . دار الشواف . الرياض . المملكة العربية السعودية.

٢٨) . الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها . د. إبراهيم النجار ورفاقه . الدار العربية المتحدة للتسويق والتوريدات . ٢٠٠٨م . القاهرة . مصر .

٢٩) . الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة . د. محمد عبد الله حياني . الطبعة : الأولى . ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م . فهرسة الملك فهد الوطنية.

٣٠) . جامع بيان العلم وفضله جامع بيان العلم وفضله ؛ لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) . تحقيق: أبي الأشبال الزهيري . الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م . دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٣١) . جامع البيان في تأويل القرآن . للإمام محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) . تحقيق : أحمد محمد شاكر . الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان.

٣٢) . جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم . لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي ت: ٧٩٥هـ . تحقيق: شعيب الأرناؤوط ورفيقه . الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . مؤسسة الرسالة - بيروت . لبنان.. الجامع لأحكام القرآن ؛ لأبي عبد الله أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ) . تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م . دار الكتب المصرية - القاهرة .

٣٣) . حقوق الإنسان بين مقاصد الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية . د. وردة بلقاسم العياشي . الطبعة الأولى . ١٤٣٢هـ . ٢٠١٢م . مكتبة خوارزم ناشرون . جدة . المملكة العربية السعودية

٣٤) . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام . لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ) . تحقيق: عمر عبد السلام السلامي . الطبعة: الطبعة الأولى : ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان.

٣٥) . خلق الإنسان بين الطب والقرآن . تأليف . الدكتور محمد علي البار. الطبعة الثامنة . ١٤١٢هـ – ١٩٩١ م . الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة – المملكة العربية السعودية.

٣٦) . زاد المعاد في هدي خير العباد ؛ للإمام ابن القيم.

٣٧) . دراسات في الثقافة الإسلامية ، د .رجب سعيد شهوان وآخرون . الطبعة : الثانية . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١م . مكتبة الفلاح . الكويت.

٣٨) . سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي . القاهرة . مصر.

٣٩) . سنن أبي داود . أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت : ٢٧٥هـ) . تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي . الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م . دار الرسالة العالمية.

٤٠) . سنن أبي داود . تحقيق الشيخ / محمد محى الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.

٤١) . سنن الترمذي . للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي : (ت: ٢٧٩هـ) . تحقيق وتعليق العلامة : أحمد محمد شاكر . الطبعة الثانية: ١٣٩٥ هـ . ١٩٧٥م . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٤٢) . السياسة الشرعية وأثرها في الحكم الشرعي . تأليف د. نسيبة مصفى البُغا . الطبعة : الأولى ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢م . دار النوادر . دمشق . سورية .

٤٣) . شرح مشكل الآثار . للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ) . تحقيق: شعيب الأرناؤوط . الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ . ١٤٩٤ م . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان .

٤٤) . صحيح ابن حبان للإمام : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) . تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وتعليق الشيخ الألباني . الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م . مؤسسة الرسالة – بيروت . لبنان .

٤٥) . صحيح البخاري للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى– الطبعة الأولى . ١٤١١هـ .١٩٩١م – دار الفكر . بيروت . لبنان.

٤٦) . صحيح مسلم . للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابورى – عالم الكتب – بيروت.

٤٧) . صحيح مسلم بشرح النووى – دار إحياء التراث العربى – بيروت لبنان.

٤٨) . عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين(ت: ٧٣٤هـ) . تعليق: إبراهيم محمد رمضان . الطبعة: الأولى: ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م . دار القلم – بيروت . لبنان .

٤٩) . الفتح المبين بشرح الأربعين . أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: ٩٧٤ هـ) . عني به : أحمد جاسم محمد المحمد وآخرون . الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م . دار المنهاج، جدة – المملكة العربية السعودية.

٥٠) . الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي . رحمه الله تعالى . د. مُصطفى الخِنْ وآخرون . الطبعة: الرابعة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م . دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق . سورية.

٥١) . الفوائد . للإمام أبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (ت : ٤١٤هـ) . تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي . الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ . مكتبة الرشد – الرياض . المملكة العربية السعودية.

٥٢) . الكتاب العلمي لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر . الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ . ٢٠٠٦م . جامعة أم القرى . مكة المكرمة . المملكة العربية السعودية.

٥٣) . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله :(ت : ٥٣٨هـ) . الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ . دار الكتاب العربي – بيروت . لبنان .

٥٤) . لسان العرب ؛ للعلامة : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) . الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ . دار صادر – بيروت . لبنان.

٥٥) . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . للعلامة أبي الحسن الندوي

٥٦) . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) . تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد . الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ . دار الكتب العلمية – بيروت . لبنان.

٥٧) . المحلى بالآثار أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) . ٤/ ٤١٠ . دار الفكر – بيروت . لبنان . بدون.

٥٨) . المستصفى . للإمام أبي حامد الغزالي . تحقيق محمد عبد السلام الشافعي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

٥٩) . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت : ٥٤٢هـ) . تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد . الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ . دار الفكر – بيروت . لبنان.

٦٠) . مدخل لدراسة الشريعة . د. يوسف القرضاوي . الطبعة الأولى . ١٤١١هـ . ١٩٩١م . مكتبة وهبة . القاهرة . مصر .

٦١) . مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية . د. إسماعيل على محمد . الطبعة الأولى : ٢٠١م . شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات . القاهرة . مصر .
٦٢) . المدخل إلى الثقافة الإسلامية د. خالد القاسم ورفاقه . طبعة قسم الثقافة الإسلامية . كلية التربية . جامعة الملك سعود.
٦٣) . مسند الإمام . أحمد بن حنبل . تحقيق . الشيخ . شعيب الأرنؤوط وآخرون . طبعة دار الرسالة . بيروت . لبنان.
٦٤) . مسند أحمد مخرجا ؛ للإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) . تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون . إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي . الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان.
٦٥) . مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار؛ للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ) تحقيق عادل بن سعد وآخرين . الطبعة: الأولى: (١٩٨٨م - ٢٠٠٩م) . مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة .
٦٦) . مسند الشاميين . للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني :(ت: ٣٦٠هـ) . تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي . الطبعة: الأولى : ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤م . مؤسسة الرسالة – بيروت . لبنان .
٦٧) . المدونة . للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ) . الطبعة: الأولى . ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م . دار الكتب العلمية . ليروت . لبنان.
٦٨) . المراسيل . للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ت : ٢٧٥هـ . تحقيق الشيخ : شعيب الأرنؤوط . الطبعة: الأولى : ١٤٠٨هـ . مؤسسة الرسالة – بيروت . لبنان.

٦٩) . مشكاة المصابيح . لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي ت: ٧٤١هـ . تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م . المكتب الإسلامي – بيروت . لبنان.

٧٠) . معالم التنزيل والتأويل . للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي . الطبعة الثانية . ١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م . دار ابن حزم . بيروت . لبنان.

٧١) . مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج . شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) . الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

٧٢) . مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير . لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) . الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ . دار إحياء التراث العربي – بيروت . لبنان .

٧٣) . المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان عدنان الداودي . ص : ١٦٧ . الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ . الدار الشامية – بيروت . لبنان.

٧٤) . مفهوم الثقافة الإسلامية . د. ناصر عبد الرحمن اليحيى . ورقة عمل . منشورة على موقع شبكة الألوكة الالكترونية . على الشبكة العنكبوتية . الإنترنت.

٧٥) . المنتقى من فرائد الفوائد . لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين : ت: ١٤٢١هـ . طبعة سنة :١٤٢٤ هـ . دار الوطن للنشر. الرياض . المملكة العربية السعودية.

٧٦) . الموافقات في أصول الشريعة . للإمام الشاطبي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ٢٠٠١م.

٧٧) . موسوعة الحديث الشريف ؛ الكتب الستة . بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ : صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ . الطبعة الرابعة . ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨م . دار السلام . الرياض . المملكة العربية السعودية.

٧٨) . موسوعة عالم الإنسان . أد. أحمد شوقي إبراهيم . ط ٢ . ٢٠١٢م . دار نهضة مصر . القاهرة . مصر .

٧٩) . الموسوعة الفقهية الكويتية . الطبعة الثانية، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت .

٨٠) . نحو ثقافة إسلامية أصيلة . أ. د. عمر سليمان الأشقر . الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٥ م . دار النفائس . عمان . الأردن.

٨١) . نظرات في الثقافة الإسلامية . د. عز الدين التميمي وآخرون . الطبعة الخامسة . ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م . دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان . الأردن .

٨٢) . النهاية في غريب الحديث والأثر . لابن الأثير الجزري . المكتبة العصرية . ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١م . صيدا بيروت . لبنان.

٨٣) . الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ؛ لعبد الله بن عبد الحميد الأثري . مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

٨٤) . وحي القلم . تأليف مصطفى صادق الرافعي . الطبعة الأولى . ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م . مكتبة فياض بالمنصورة . مصر .

٨٥) . ورقة عمل حول : " تعريف الثقافة الإسلامية . أعدها د. مفرح القوسي . شارك بها في ندوة (مقررات الثقافة الإسلامية بين واقعها والمتغيرات) التي نظمتها كلية التربية بجامعة الملك فيصل بالأحساء، في الفترة ٢٧ – ٢٨ شوال ١٤٢٦هـ، الموافق ٢٩ – ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٥م.

٨٦) . الوافي في الثقافة الإسلامية . د. مصلح عبد الحي النجار . ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٧ م . فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية . مكتبة الرشد بالسعودية.